راوي العدد :

شريفة الشملان

- هي شريفة إبراهيم عبدالمحسن شملان، قاصة سعودية، نشرت لها أغلب الصحف السعودية وبعض صحف الخليج العربي، إضافة إلى مجلة إبداع المصرية ومجلة الآداب البيروتية. بدأت تكتب القصة القصيرة في وقت مبكر جداً، وقد بدأت النشر منذ عام 1399هـ ولاتزال تواصل النشر في مختلف المطبوعات.
- مارست الصحافة عبر جريدة اليوم.
- لها عمود أسبوعي ثابت في ثقافة اليوم بجريدة الرياض، تحت عنوان (ارتداد للداخل) منذ أحد عشر عاما.
- هي البنت الثالثة لأسرة مكونة من عشرة أبناء، أربع بنات وستة أولاد، متزوجة ولها خمسة أبناء ثلاثة شباب وفتاتين.
- عملت فترة طويلة بالخدمة الاجتماعية وظهر تأثرها بالعمل الاجتماعي من خلال مجموعتها الأولى، (منتهى الهدوء).
- تفرغت منذ عدة أشهر للكتابة وعضوية جمعيات خيرية نسائية.
- تأثرت بالكثير ممن قرأت لهم وأحبهم ولكنها لا تنسى فضل جدتها لأبيها التي كانت تقص عليها وأخوتها القصص ثم تغفو وتترك الشخوص والأحداث معلقة، فيبدأ خيالها الصغير باستلام

شهادات

(1)

معالجة الواقع

... بإمكان الباحث أن يتبين في القصة القصيرة النسائية السعودية عدة اتجاهات أبرزها السعي إلى معالجة قضية محددة واضحة المعالم في إطار الهم الإنساني الأزلي الذي يشغل بال المرأة، وتستدعي مثل هذه القضية بناء محكماً مترابطاً، إذ نعثر على مثل هذا النوع من القصص عند الكاتبة شريفة الشملان وسلطانة السديري وفوزية البكر ورقية الشبيب، ولكن قصص شريفة الشملان تمثل هذا الاتجاه تمثيلاً واضحاً في معظم الأحوال، فقصة «أحمر الشفاه» على سبيل المثال تعالج قضية تتصل بطبيعة المرأة وتمس وتراً حساساً في أعماقها وفي تكوينها النفسي وهو جانب الغيرة، وكيف يمكن أن تستغل هذه النزعة استغلالاً إيجابياً في علاج بعض المواقف،

وعلى الرغم من أن موضوع القصة ليس جديداً إلاَّ أن الكاتبة نجحت في نسج خيوطها الفنية بتؤدة وأناة، فتتبعت الحدث القصصي، وهيأت له أسباب النمو والتطور إلى أن وصلت به إلى لحظة التنوير المألوفة في البناء الكلاسيكي للقصة القصيرة. فقد دأبدت على تعمق اللحظة الواقعية وربطتها بالواقع النفسي للشخصية إذ استطاع بطل القصة أن يمس جانباً هاماً من جوانب شخصية زوجته ويتعامل معها على هذا الأساس فيحول نفورها إلى إقبال وعزوفها إلى تشبث. وقد استخدمت الكاتبة معماراً فنياً واضح المعالم فقد مزجت بين الوصف الواقعي والتحليل النفسي، وحرصت على الإمساك بالنفسية والواقعية في نفس الوقت دون أن تضل في شعاب التضاريس السيكولوجية، ثم بنت الحدث من خلال السرد والوصف ووصلت به إلى الذروة، ثم انحدرت به انحداراً هادئاً إلى لحظة الانفراج. وانتهت إلى خاتمة مغلقة محكمة ذات مغزى تعليمي واضح. ويبدو الطابع العقلي مسيطراً على بناء القصة، ولم تزج

الكاتبة بنا في أتون الانفعال فاستقام لها البناء بإحكام واضح.

وإذا كانت هذه القصة محصورة داخل أسوار الدائرة التقليدية للقصة النسائية فإننا نجد قصة (الكنز) قد تجاوزت هذه الدائرة واتخذت أبعاداً جديدة، فهي تحمل همّاً تاريخياً وتعالج قضية هامة، لذا تبدو المعالم الواقعية للقصة أضيق من أن تستوعب هذه القضية. من هنا نجد الكاتبة تختار الأحداث بطريقة معينة بحيث تلقي بظلالها الرمزية التي تصوغ رؤية الكاتبة، فالكنز ليس إلا رمزاً وكذلك العربيدة التي تحرس الرمز، والرجال الغرباء الذين يستولون على هذا الكنز، والحدث برمته يوحي بمعان متعددة ويدين السلبية والاستسلام للوهم والتخاذل، والنخل الذي يجني الصغار ثماره يرمز إلى رؤية مستقبلية، فالنخلة رمز للأصالة، والأطفال رمز للمستقبل، والبناء الفني متعدد الأبعاد: البعد الواقعي للحدث القصصي، والبعد الرمزي...

د. محمد صالح الشنطي

(2)

إشكالية الحكي والقص

شريفة الشملان من القاصات السعوديات اللواتي استخدمن أرضية الشعبي بشكل واضح في قصصهن. وقد أصدرت هذه القاصة ثلاث مجموعات هي «**منتهى الهدوء**» 1989 و«**مقاطع من حياة**» 1994هـ، و«**وغداً يأتي**» 1997م.

وهي مجموعات حافلة بالحكي الشعبي، إلى درجة تصل أحياناً إلى إعادة تسجيل الحكايات الشعبية نفسها بعظمها ولحمها كما يقولون. وحتى ندرك بعض القضايا الرئيسية لتوظيفها للحكي في قَصّها الذي يفترض أن يكون متجدداً لا تبعياً، وإشكالياً من حيث تواصله مع الموروث، سنتوقف تحديداً عند مجموعتها الأخيرة «وغداً يأتي» التي أرى أنها مجموعة حكي أكثر من كونها مجموعة

قص، إذ لا يحتاج الحكي إلى صياغات سردية ذات حساسية جديدة أو ذات جماليات جديدة، مثلما يمكن أن يحتاجه القص الذي يتطلب الاختراع للأساليب أحياناً لتقديم حكاية ما في قصة حتى يتميز القاص في أسلوبه عن الآخرين، علماً بأن الاتجاه إلى الفضاء الشعبي التراثي أصبح أسلوباً ملحوظاً في السرديات العربية الحديثة الروائية والقصصية.

وعلى أية حال فإن الشملان في مجموعتها المشار إليها نهلت من الحكاية الشعبية بعض الحكايات وطرائق حكيها في قص تغيب عنه لعبة القص الموجودة لدى قاصين وقاصات امتازوا محلياً بأنهم كانوا أكثر تفعيلاً لطرائق السرد المتعددة القائمة على تفعيل التقطيع الزمني مما يجعل هذا التقطيع مقصداً لهدم تراتبية الزمن التي حفلت بها الحكايات الشعبية.

وإجمالاً يمكن إدخال المجموعة القصصية موضوع هذه المقاربة في ثلاثة سياقات ضمن إشكالية القص والحكي، وهذه السياقات هي:

- سياق الحكي.
- سياق التداخل بين الحكي والقص.
- سياق القص.

وهذه التقسيمات بكل تأكيد لا تعني إطلاقاً المفصلة الكاملة، لأن الحكي والقص حالة من التداخل الإندماجية بنسب متفاوتة بين قصص المجموعة بشكل عام.

سياق الحكي

منذ القصة الأولى من المجموعة نتوقف مع زمن تراتبي يقف فيه أهل بلدة حائرين تجاه سد يحجب عنهم العالم الآخر، وهو سد يتشكل بالنسبة لهم في صور متعددة تصدر ضمن ثقافات مختلفة من الفقيه، والحكيم، والشاعر، والراوي، والناس العاديين.

فهمس الناس العاديين يجعل مما وراء السد خرافة لحلم بالسيطرة «**فإنّ همساً سرى بيننا هو الذي**

انجذب أكثرنا له.. أن خلف السد أفعى كبيرة تحمل زهرة عجيبة، من يحصل على الزهرة، يأتمر الكل بأمره..» (ص 4).

وهكذا يحاط السد بمجموعة من الحكايات التي تتناثر في كل البيوت.. وهي حكايات تعيدنا إلى ما ينتشر في القرى من حكايات خرافية في سياق ما لتبرير ما يحدث.. إذ استيقظ الناس قديماً من نومهم فوجدوا السد أمام عيونهم: «**لا أحد يستطيع رؤية نهايته.. «عالي» سامق هو يتحد بالسماء.. تتكسر رقابنا ولا نرى وسطه..**» (ص 3).

ولمعرفة ما وراء السد: يرى الفقيه ضرورة تطهير النفوس أولاً. أما الحكيم فيرى ضرورة قراءة العلم، والشاعر يرى ضرورة استلهام الحلم الجميل والتحليق بالأرواح خلفه. ولا يملك راوي القرية سوى أن يعمق لهم حكاياته ؛ حيث ستكون في آخر الزمان ريح تفتح السد، فتنتشر في الجو مادة غريبة يتحول كل من يشمها إلى جماد.

وتمسي بقية القصة حكايات عن أشخاص اقتربوا من السد فغابوا مثل امرأة ملتفة بالسواد، وطفل رضيع، ومجنون.. إلى أن تنتهي القصة بنهاية شبيهة بالبداية، وهي أن «**بقي السد كبيراً موصداً تتكسر رقابنا ولا نرى نصفه، ولكن مازال أيضاً بقريتنا نفر يحاولون فهم سره**» (ص 6).

وهذه القصة كما يهيأ لي تتشابه إلى حد كبير مع مسرحية لأمين شنار قدمت على مسرح رابطة المسرحيين الأردنيين عام 1979، وما بين تلك المسرحية وهذه القصة هو التشابه الكامل في صياغات السرد الكلية التي تحيل إلى واقع خرافي يبقى فيه الإنسان عاجزاً وفي الوقت نفسه مصراً على معرفة المجهول.

التداخل السردي

وقد كان استخدام تكنيك الحكي الشعبي (السياق الثاني) في بعض قصص المجموعة استخداماً فاعلاً، وخاصة استخدام نمط التحول المبثوث في الحكي الشعبي في تصوير أحداث

قصصية واقعية، ففي قصة «للفئران آذان وشوارب» تقدم هذه القصة سجيناً في زنزانة يتحول نفسياً إلى فأر مشابه للفئران التي تعيش حوله، حيث تمكن حينها من التعايش مع الزنزانة الضيقة على اعتبار أنها مساحة واسعة.

وفي قصة ثانية بعنوان «العنزات الثلاث» تدمج القاصة بين الحكي والقص من خلال التداخل بين الحلم والواقع، فالعنزات الثلاث ما هن في النهاية سوى ثلاث بنات، يصبحن مع أمهن أربع عنزات لا يخرجن من حظيرتهن (بيتهن وحديقته).

وتدمج القاصة من ناحية ثالثة بين القرد والإنسان، حيث يتحول الإنسان ضمن ثقافة الأوامر والنواهي والتبعية المطلقة لكل ما حوله منذ ولادته إلى «تَقَرُّدٍ» هو أسوأ من حالات القرد نفسه.

ونسق التحول هذا من الناحية الخرافية تستخدمه القاصة في قصصها الأخرى بطريقة اجتماعية، وخاصة في قصص: «صخرة نجد» و«حلم

أخضر» و«امرأة أخرى» و«سيدة البيت الرخامي» و«لا مغزل يا عبدالله».. حيث نجد بطلات هذه القصص يتعرضن لانكسارات تجبرهن على التحول بطريقة أو بأخرى، أهمها التحول من التوهمي الحلمي إلى الواقعي المعيشي المنهزم أو المقاوم بقدر إمكانياته، حيث نجد في نهاية القصص إشارات واضحة إلى التحول.

إيقاعات فاعلة

وفي السياق الثالث، يمكن القول بشكل عام إن بعض قصص المجموعة هي قصص تنجز من خلال بنية القص لا الحكي، لأنها قصص تحمل أحداثاً واقعية لها سياقها المعاصر السيكولوجي، أو الاجتماعي أو الثقافي.. فهذه القصص تكاد تكون ذات دينامية قصصية جديدة، حيث تبدو ملامحها السردية ذات تحولات جذرية من سياق الحكي المألوف إلى القص في سياقه السردي الجديد حيث التطور نوعياً، من خلال

إيقاعات فاعلة في تكسير الزمن، وترميز الرؤية، وتكثيف اللغة، وتعميق الدلالات.. وبالتالي تكاد صلته بالمألوف أن تكون محدودة جداً رغم اعتماده على المادة الخام المبثوثة في الحياة المعيشية والشعبية أيضاً كالحلم والأمراض السيكولوجية، وفي هذا السياق أشير بشكل خاص إلى قصص: «الحوت والمدينة» و«النمل الأبيض» و«القرد الرابع» و«الصورة» و«قصص قصيرة جداً جداً».

فهذه القصص تختلف كثيراً عن الحكي التتابعي في سياق الحكي الذي تحدثنا عنه في البداية، وعن الحكي المتداخل مع القص في سياق التداخل، إلا أن اختلافه مع القص في سياق التداخل، إلا أن اختلافه هذا لا يعني إطلاقاً أنه منقطع عن التقاطع مع النسقين السابقين. إذ إن بعض قصص التحول تكاد ترتقي إلى هذا السياق كالتحول إلى قرد رابع، وأيضاً تحديداً هنا أذكر قصتي: «للفئران آذان وشوارب» و«حلم أخضر».

على أية حال فإن ارتباط الحكي من خلال بعض التواريخ المثبتة على القصص بمرحلة مبكرة لدى القاصة في أوائل الثمانينات لهو إشارة واضحة إلى أن كتابتها الأولى كانت إلى حد ما مسكونة بثقافة مرجعية شعبية لم تجعلها تنجز هذه الثقافة إنجازاً جديداً.

حسين المناصرة

هي وحكاية التمر(*)

كان جواب يعصرها عصراً.. إنها تختنق لا تستطيع أن تتنفس تسير بسنيها العشر ملبسها يلتصق بجسمها.. كانت تحمل بيدها طبقاً من الخوص يحوي تمراً وفوقه قطعة بالية من قماش ضاع لونه.. تسير حافية ولم تكن حافية أصلاً إذ خرجت بنعلين مختلفي المقاس واللون.. أحدهما التصق بأسفلت الشارع والثاني خلعته هي.. توقفت سيارة بقربها سألها سائقها بلهجة لزجة:

- أوصلك...؟

- نظرت لقدميها الغارقتين بالرطوبة والتراب الرمادي.. أومأت بإشارة لا..

- السيارة مكيفة يا... حرام القمر يمشي على الأرض..

*) من مجموعة منتهى الهدوء.

لمحت شرطياً يسير حثت خطاها علها تصل إليه ليـحميهـا ولكنه اختفى كاختفاء آمال طفولتهـا.. ربما وصل إلى بيته.. ربما لم تره أصلاً..

ضغط السـائق على بنزيـن السيـارة.. فأحدث صوتاً أرعبهـا.. وجعل قـلبهـا الصغيـر يدق وجلاً.. خاصة عندما دار السائق بعرض الشارع دورة عنيفة.. ثم أتى ليحاذيها ارتفعت دقات قلبها شعرت أنه كاد يشق صدرها.. أن ناراً حارة تخرج من أذنيها.. أعاد السائق لهجته اللزجة..

- لا تخافي يا حلوة..

ألقت الصغيرة نظرة وجلى على ثوبها ثم نظرت إلى الرصيف كانت تبحث عن حجر عن حذاء قديم.. أي شيء تدافع به عن نفسهـا.. وظن السـائق أنهـا تحتقر ملابسها فقال لها.

- سأمنحك فستاناً وحذاء..

حثت الصغيرة خطاها أكثر وركضت غاصت في الأزقة المتربة.. تلهث ترتجف يداها حاملة الطبق..

وتوغلت في شارع بلا منفذ لعدة دقائق.. وأطلت برأسها كسارق.. لعله ذهب.. ولكنها رأته مترجلاً ينتظر خروجها أمسكها يحاول أن يذيب بذلك كل عنفوان شبابه شعرت أنها تهوي تحت قدميه كشاة بيد قصابها.. عضت رجله اليمنى بكل ما أوتيت من قوة وتناهى لأذنيها المتعبتين صوت صبية يقتربون.. ركلها وولى هارباً ماسكاً بيده رجله الدامية اقتربت الأصوات أكثر ولكنها عادت تبتعد قليلاً قليلاً.. أما هي فقد خرجت شاكرة الله حامدة له على إنقاذه إياها.. حملت طبق الخوص ونفضت التراب عن شعرها الأشعث ومضت.. الطريق مازال طويلاً فما أطول طريق الخوف.. والبيت الذي تقصده عبارة عن سور لفناء بغرفتين تتوسطه نخلة بلا تمر.. إحدى الغرف تنام بها وأخواتها الأربع وجدتها لأبيها يأكلون ويشربون وبها يتخاصمون أيضاً.. أما الثانية فهي أصغر من الأولى قليلاً وهي لوالدها وخالتها وأخوة اثنين غير أشقاء.. وخالتها هذه لا تستطيع أن تجد لها صفة مناسبة.. فهي ليست شريرة.. كما أنها

حتماً ليست طيبة.. إنها كأي امرأة غريبة لم تضربها يوماً كما لم تمد يدها لتمشط شعرها.. وتذكر أنها قالت لها يوماً لم لا أذهب إلى المدرسة يا خالة ؟ فمطت خالتها فيها يميناً وشمالاً وقالت بلهجة باردة:

- عندما تكون هنا مدرسة قريبة تذهبين إليها..

ارتجف الطبق بيدها؛ إنها تسير كل يوم في طريق طويل لتجلب التمر وأحياناً التمر والخبز.. وتمر في طريقها على ثلاث مدارس.. آه يا خالتاه إنك لست شريرة فلم لا تكونين طيبة ؟

وصلت إلى البيت وامتدت أياد تسع للطبق بينما الفم العاشر كان يبحث بلهفة عن طريق لصدر خالتها.. رمت نفسها على حصير نصفه متكسر والنصف الثاني لا يعرف له لون.. كلام سائق السيارة خلال طريقها الطويل يرن في أذنيها ويلهب جبهتها بسياط من نار.. غفت لا تعلم، ولكنها صحت على صوت جدتها وهي تناديها لصب الماء عليها لتتوضأ لصلاة العصر.. مسحت كتل العرق التي تزاحمت

على جبهتها ومضت متأففة.. ولكن أخاها مد لها رجله وتعثرت ووقعت على وجهها.. صرخت وبكت بحرقة. بكت كثيراً وطوال فترة صبها الماء على جدتها التي قالت لها (لم يكن أخوك يعلم أنك ستقعين). ودارت الكلمات في رأسها.. لم يكن يعلم أنها ستقع ماذا كان يتوقع إذاً ولكنها لم تفصح عن شيء لأنها تعلم إنحياز جدتها لأخواتها لذلك كبتت ما تريد قوله.

في المساء كانت الرطوبة أخف من الصباح.. نادتها جارتهم الشابة وقالت لها: لما لا تغسلين شعرك يا حبيبتي..

لم تحر جواباً.. أدخلتها الجارة وأعطتها صابونة وفستاناً نظيفاً بدا كبيراً نوعاً ما.. سرّحت شعرها وساعدتها الجارة على ذلك كعادتها.. عادت لبيتهم.. خالتها زمت شفتيها ولم تعلق بشيء وهي تفحص ثوبها، جدتها قالت لها: أليس عيباً أن ترمي قذارتك عند الناس؟..

أما أبوها فقد نظر إليها نظرة إعجاب وقال: لقد أصبحت حلوة ونظيفة.. في الليل نامت وهي تشعر بسعادة غامرة، فرائحة الصابون كانت تنبعث من جسدها والثوب النظيف كل ذلك جعلها سعيدة هانئة.. رأت أحلاماً جميلة.. كانت تسير لا بل تطير كفراشة.. ذهبت للمدرسة.. أكلت حلوى كثيرة.. بيتهم بدا أكبر وأنظف.. تغيرت ثياب أخواتها.. ولكن الحلم بقي حلماً رغم أنها حاولت النوم مرة أخرى.. لكنه طار وترك آثاره على خيالها.. نهضت غسلت وجهها.. بحثت عن مشط تسرح به شعرها.. ولكن صراخ جدتها وصوت أبيها كل يريد منها شيئاً.. أنسياها البحث عنه وبحركة آلية لبت لكل منهما مطالبه.. ثم تناولت فنجاناً من الشاي لتشربه.. جلست ترشفه.. بينما رأسها يدور.. هشت ذبابة وقفت على فنجانها.. قطعت قطعة خبز وبدأت تجمع الكلمات لتقولها لخالتها:

خالة، لن أستطيع الذهاب لإحضار التمر هذا اليوم.

كمْ تمنت أن تسألها خالتها ، لماذا ؟ ولكنها قالت بلا مبالاة :- يذهب أخوك .. ورفع عن كاهلها حملاً ثقيلاً .. لقد انتهت حكايتها مع التمر ولكن حكاية أطول منها بقيت تدور في رأسها .

أوقات لجحا (أبو فانوس)(*)

الفانوس

أسير به، رعيته كثيراً، تلمعه ابنتي، تهتم به زوجتي، عن أجدادي ورثته، غالٍ علينا جميعاً..

... أمضي به، من قال خطر بفانوس ! «عرفني الجميع به أصبح علامتي وكنيتي «جحا أبو فانوس» أختلف عن كل جحا مر على المدينة...، خطر.. !!.. انتهت الأخطار، لم يبق إلا فانوسي ؛ قلت صادروا كل شيء، ثيابي، حذائي ودعوا لي فانوسي...

... أصبح الفانوس قصتي... مررت على الأسواق، دخلت المقاهي، قلت للجميع عن فانوسي.. وصفت لهم فتيلته لمعانه، والأشعة التي تخرج منه.

... يبتلع بعضهم ابتسامته، بعضهم يطيب خاطري.. يطلب لي أحدهم شاهياً... ويستمرئ الكثيرون الكلام حول فانوسي...

*) من مجموعة مقاطع من حياة.

وقت لصحن العسل

صحن من العسل.. صحن كبير كبير.. لعل مختلف فئات النحل عملت ليل نهار من أجل هذا الصحن، أصفر يلمع، يجمع ريق الأفواه.. تفاحة آدم في بلعومي تصعد تنزل، تكاد تسد أنفاسي... تريد عسلاً يدهنها...

اجتمع كبراء القوم، التفوا حول العسل... أصابع تصعد أصابع تنزع... أفواه وأصابع ينقط منها العسل، أفواه تحت أفواه تحت التحت تنتظر نقطة عسل...

فمي يتدفق ماؤه أكثر فأكثر،... وكل كل قلبي يأبى نقطة متساقطة،... قالت نفسي: العسل النقي في أعالي الجبال قلت لنفسي هيا بنا...

عندما فتحت الباب لأخرج... هجم ذباب العالم... كل يريد نصيبه من صحن العسل.

جلت زوجتي مصباحي جيداً، ملأته ابنتي زيتاً ومضيت...، لم أجد جبالاً، سفوحاً قد أصبحت... النحل هاجر بعيداً...

وقت لك يا امرأة

أقف أمامك... أمامك أنا، متجرد.. تفضحني نظراتك... بك رائحة أمي.. لك خجل زوجتي، وعاطفة امرأة عرفتها... صرخة ابنتي ساعة الميلاد... فانوسي يتقهقر أمامك.. أخاف أن تذوي ذبالته.. انظر العالم من عينك، أرى بحاراً ولؤلؤاً... وأراني (جحا وفانوسه)... سحرة ودجالون أراهم... أتقياء العالم، ومجرميها... يا امرأة يا دنيا الله الواسعة، يا ريح الماضي والآتي، يا حاضر اللهفة والحسرة والمتعة... يا مر المر وحلو الحلو... دعيني أبحر في عينيك أكثر... أكتشف الدهشة والروعة... وأستحلفك بالله دعي فانوسي... لا تنفخي ذبالته يا امرأة...

... قد تخذلني عيناك يوماً... فلا أجد غير فانوسي...

وقت لك يا ابنتي

قالت ابنتي: البنات في المدرسة يضحكن يا أبي

من فـانوسـك..، .. إنهـن يقلـن «أهو مـصباح عـلاء الدين !»

قلت لها : لو كان كذلك...

استعلجتني بلهفة: لو كان كذلك ؟

قلت لـها ضاحكاً: لقـلت «افتـح يا سـمسـم» وأخرجت لك عقداً من كنوز علي بابا وجماعته)، قبل أن أنـتظر رد الفعـل (تعليـقهـا) انطلقت تلبيـة لآذان العصر..

أصوات في أصوات

أجر قـدمي... فـانـوسي تحـمـلـه يـدي اليـمـنـى، تـتـعب أنقلـه لليـسرى... صـوت الصـحـراء يعـوي... الصوت يرسم لي صوراً كثيرة يقشعر لها بدني، تبرد يداي أكثر أحاول أن أدفئهما على المصباح... أصـل لسور كبير، تـهفو روحي أخيـراً أجد سياجاً، لا بـاب للسـور، فتـحة واسعة تئن بـها الريـح، غرفـتان عند المدخل... رائحة غريبة، الرائحة تزداد قـوة... أتذكر

قول أمي «لأنفك يا (جحا) حساسية خاصة» نعم الشم يذكرني يوقظ كل حواسي، تتداعى أمامي الأماكن والأشياء وتنجلي وجوه البشر... فأرى الأحداث كأنها وقت الساعة...، إلا هذه الرائحة رائحة طين مختلط بدم، بلحم، رائحة لم تمر عليّ من قبل...

أخرج من الغرفة الأولى للغرفة الأخرى، أتركها إلى الساحة، أضع مصباحي أرضاً، أنظر ملياً، أدقق... شواهد ثم قبور... «إذن هو الطين مندمج بالطين»!!

جلست، المصباح بيدي يهتز... وجدتني أهتز معه... وبي شيء يمنعني أن يجعله يقوى أكثر، أريده ساطعاً، خدرت يدي ولم يقو... وخدر يمشي إلى أعماقي... صاحت بي أصوات:

-: عما تبحث يا جحا...

-: أبحث عن حقيقة.. (لا أدري أنا نطقتها أم كانت في داخلي)، عادت الأصوات تختلط... تمتزج،

يخرج منها تراتيل، يخرج منها دعاء لا أدري كنهها ربما يمتزج بها أنين وصياح، ربما أصوات ما مرت علي أبداً تلتوي مع الريح، تتجمع فتتشكل في أذني...

-: نحن وجدنا الحقيقة...

-: أعطوني إياها، كللت بحثاً عنها...

-: الحقيقة يا جحا... الحقيقة لا تمنح تكتشف قد تكتشفها اللحظة، وقد تمضي عمرك لا تجدها... إلا هنا... ندلك على أقصر طريق لها...

ضميرك وقلبك...

تغمرني رجفة... تمتزج الأصوات وتتداخل كأن أهل الآخرة اجتمعوا بمختلف لغاتهم ليصرخوا جميعاً، فتضيع عليّ فرصة الإدراك...

جررت نفسي... مشيت... فانوسي يرتج... والشمس بدأت تخرج... رأيتها تضحك مني وعلي...

وأوقات تستمر وتتوالد

النوم، النوم

أجمل شيء أن أنام، تنطلق روحي، أحلم، أبحث في دنيا الله... يكون لابنتي إخوة وأخوات... وكل شيء، كل شيء، لكن الدقات السريعة على الباب، تقض منامي، بدأت بطيئة ثم كبرت، كبرت، حتى أيقظت سابع جار... يارب السماء «الفانوس» ماذا يريدون بالفانوس... «أنت أو الفانوس» قلت لهم:

-: أنا والفانوس... قالوا «لا»

خطفته زوجتي، أعطتهم إياه... سحقوه...، كان دليلي وعلامتي وكنيتي و.. و.. لا يهم،...

انبثق في داخلي ألف فانوس.

وعدت للنوم... وسلام على قوم مروا..

صخرة نجـد(*)

جدته عند جدتي أو جدتي عندهم، هكذا يومياً، في زقاقنا الضيق كان الأولاد يلعبون، أقف مستندة على الجدار، يعطيني كعوبته أجمعها لدي، تأخذني نشوة الفرح كلما فاز، أعبر عن ذلك أحياناً بأن أنثر شعري الطويل.. يملؤني الغضب عندما يتشابك مع صبي آخر في عراك، دائماً أنجده دون أن يشعر، أحياناً أمد رجلي للولد الآخر فيقع وينتصر هو، أحياناً أعدو مسرعة لأستنجد بجدته التي تضع عباءتها كيفما اتفق وتأتي.. وفي بعض المرات أبتعد لأتناول حجراً أقذفه فيصنع لغريمه نافورة دم.

«لا مطوعة بعد اليوم» صدر أمر جدي، لم يعترض أبي واستسلمت على مضض أمي.. فرحت، فأنا أصلاً متأخرة جداً بالحفظ وتلتهب يدي وقدميّ من عصا المطوعة .. ولكن الأمر لم يقتصر على

*) من مجموعة وغداً يأتي.

المطوعة بل شمل الخروج ككل.. طفلة التاسعة في داخلي راعها الأمر.. سألت الجميع: لم لا أخرج!! عُددت لي أسماء كثيرة، بنات عمومتي وأخواتي اللواتي سبقنني الجلوس في المنزل، أنهن يتعلمن كيف يصنع الخبز، كيف تحلب البقرة والعنزات.

أتحين الفرصة لأبقى أطول مدة في قليبنا المشترك معهم.. لم أكن أريد أن أكلمه، كنت فقط أشتهي أن أسمع صوته، لأني أظنه كان أقوى المحظورات وإن لم يصرح لي أحد بذلك - كنت أتمنى أن أسمعه ينادي أمه يطلب شناناً أو منشقة.. ويطير بي الخيال أحياناً فأظنني أسمعه يغني لي..

قلت لأمي ذات يوم ويداي ترتجفان محاولة أن أصنع خبزة كرغيفها:

لماذا البنات في التاسعة لابد أن يجلسن في البيت.

قالت: لأنهن كبرن.

قلت لها: لم أكبر بعد.. انظري.. لففت حول

نفسي سقط مني الرغيف.. ضحكت أمي وقالت: جدتك بعمرك تزوجت.. قلت وأنا أتخيل الثياب الجديدة والحناء بكفي وقدمي، وفوق كل هذا حريتي لا أب يصرخ ولا جد يمنع: إذا زوجوني.. قالت أمي وهي تغالب ضحكاتها: عندما تصنعين خبزاً كهذا أزوجك..

نظرت لرغيفها وقلت لها: حصة تصنع خبزاً جميلاً ولم تتزوج - حصة ابنة عمي - اكفهر وجه أمي ولم تجب.. وكانت حصة قد أخذت طريقاً للعنوسة.. فهمت فيما بعد لما لم تتزوج حصة.. أمها جارية اشتراها عمي لتساعد في البيت الكبير.. عندما وضعت زوجته طفلها الخامس كان عمي قد بذر حصة.. لذا فابن العائلة الكبيرة لم يكن يتقدم وغيره لا يمكن تزويجها إياه..

قبيل صلاة ظهر كل يوم أذهب للقليب.. أضع أذني على الجدار.. وصلتني أصداء صوته.. الفرح يملؤني.. أنظر للمحالة وهي تدور وتدور حاملة دلو

الماء له.. أشتهي أن أضع قدمي الضئيل به.. عقلي الصغير يفكر.. كيف أشعره بوجودي..؟ أأرمي حجراً..؟ لا الأفضل أن أجر الرشا.. قهقهة طفولية تعربد بصدري الصغير الذي بدأ عصفوراه يشقان الجلد.. أحضر عصا جدي وأجر الحبل.. أسمع بعدها تمتمة.. أعيد الكرة.. أعيدها.. ثم أخيراً يجر لي الحبل، أقفز مهلهلة.. لقد بدأت إشارتي تلقى صداها.. وأوجدنا لغة خاصة بنا.. نتكلم ونقهقه نغني أيضاً.. لا صوت يسمعه أحد فيؤذينا ولا يمكن أن يرانا أحد فيفشي سرنا.. لكن الحبل أعياه حمل الرسائل ولغته ضاقت مفرداتها بنا.. لذا بدأنا البحث عن وسيلة أخرى..

في القيلولة عندما تمطر السماء لهباً.. العيون الكبيرة تغفو في السراديب الباردة وبجانبها المراوح الخوصية.. كنا نصعد للسطح.. يرمي حجر صغير أجيبه بمثله.. ونبتدىء حواراً طويلاً..

«البنت تصعد للسطح ظهراً» البنت.. البنت تصعد السطح..».

رددت جدران منزلنا الصدى واهتزت له سعف نخل بيتنا.. أقسمت وكل قطعة مني ترجف «أني أنشر الملابس» «أني أطعم حمام أخوتي» لا أحد يصدقني.. ومنعت من الصعود للسطح ظهراً..

في الليل أترقب النجوم، أعدها.. يفصل بيني وبينه جدار.. أرهف السمع.. لا شيء خواء.. ولا حتى سعلة أسمعها.. جدته لازالت تأتي لجدتي.. أتمنى أن أختبئ في حضنها، أن أسألها عنه - وأن أسمع منها أخباره «البنات لا يجلسن مع الكبار».. أمر آخر.. انسحب وشيء ما يجثم على حنجرتي قالت حصة وهي ترمقني: يقولون ذهبوا للشام وهناك أبواب كبيرة للرزق.. إنهم يعملون أي عمل.

الرابعة عشر.. هال أمي كيف وصلت بسرعة للرابعة عشر.. تنظر لي نظرات أعرفها جيداً.. إنها تعد العدة لكلام تقوله.. أقترب منها تسر لي، أبوه عند أبي، إنهم يطلبونني..، الفرح يزغرد في ثنايا قلبي.. إذن عاد.. الليل يتلوه نهار.. أمي تتحاشى

النظر لي.. ألتصق بها.. تقول إنهم سيعودون للشام.. لقد صدر أمر جدي، أنا صخرة من نجد لا تتزحزح.

القليب: البئر.
المحالة: بكرة توضع على البئر
الرشا: حبل لجر الدلو

علـــــي
عبد الأميـر
صــــالـح

العراق.

همسات جـرح

سمع رنين الجرس. كان يجلس وحيداً إلى طاولته الخشبية. فوق الطاولة يستقر مصباح يرسل ضوءاً ساطعاً، قلمان جاف ورصاص، أوراق مسوّدات وأوراق بيض. قبل رنين الجرس بلحظات قلائل، كان قد وضع (المحرار) في فمه. عرف منذ سنين عدة، أن أفضل لحظات الكتابة هي لحظات القلق والتوتر والخوف.

كانت حرارته ترتفع تدريجياً كلما اقترب موعد

الكتابة، وكأنه سجين ينتظر لحظة الحرية. بعد العاشرة مساءً، يجلس إلى طاولته، يطلق العنان لمخيلته ويدعها تسيح في عوالم مدهشة وغريبة.

بعد أن يتناول وجبة عشائه الخفيفة، التي يشتريها من مطعم قريب من عمارته السكنية، يجلس إلى منضدته، يهيء أوراقه وأقلامه ومسوّداته، يضع علبة سجائره المفضلة ومنفضته قريباً منه، يهيء كأساً أنيقة مترعة بعصير الفاكهة في الناحية اليسرى من المنضدة. وقبل أن يشرع بالكتابة، يضع المحرار تحت لسانه.. مع الفقرة الأولى يخرج المحرار من فمه ويضعه جانباً.

لملم أوراقه المكدسة على الطاولة، ورفع ورقة بيضاء سقطتْ على الأرض، حين سمع رنين جرس الشقة. كانت ليلة من ليالي الصيف المعتدلة، ومن نافذة شقته المشرعة يتسلل نسيم بارد منعش. كانت تلك ليلة نادرة، فقد اعتاد الناس أن يعانوا من حرارة الصيف القاتلة.

تقع شقته المؤلفة من غرفتين في شارع الزيتون،

لا يعرف هو لم سُمّي بهذا الاسم، فشارعهم بأكمله وشقته السكنية بأسرها لا تحتوي على شجيرة زيتون واحدة. وهو لم يذق طعم الزيتون منذ أن انقطع عن احتساء الشراب بعد افتراقه عن شلة «القسم الداخلي» النزقة، حيث جرتْ العادة أن يقدم لهم نادل... صحون الزيتون المنقوع بالزيت في صحون السلطة وقناني... ومكعبات الثلج.

من ذا الذي يقرع الجرس؟ من ذا الذي سيحرمه من ألم الكتابة وعذابها؟

من ذا الذي يشد حصانه ويمنعه من الجري في قفار الألم ومروج اللذة؟ من ذا الذي سيحرمه من قلق وأوجاع هذه الليلة، المعتدلة، النادرة، من ليالي صيف بغداد؟

سار ببطء إلى باب الشقة. حرك المفتاح في الباب، ثم أدار الأكرة، وحين فتح باب الشقة، تنشق في الحال، عطراً جميلاً. نظرت إليه باستغراب. ما هذا الشيء الذي يضعه في فمه. إنه ليس سيجارة بالتأكيد.

عندما نهض من الكرسي الوثير بتؤدة ومضى عبر الرواق المفروش بالسجاد ليفتح باب الشقة، لم يكنْ ليعرف أنه مازال يحتفظ بالمحرار في فمه.

نظرتْ في عينيه ملياً، بتساؤل واضح، وريبة، ما معنى أن يضع هذا الرجل محراراً في فمه. هل هو مصاب بالحمى؟

انتبه إلى أنه يقبض على المحرار بين أسنانه. رفع يده اليمنى وأخرجه من فمه.

تصنعتْ الأدب واللياقة نوعاً وهي تقول هامسة بغنج: (هل أدخل؟) لم يقلْ كلمة. أسندت ذراعها النحيلة السمراء إلى إطار الباب الخشبي. كانت ترتدي قميصاً خفيفاً، وردي اللون، من الحرير الصناعي، بكمين قصيرين... شاهد أزرار قميصها الجميلة الشبيهة بفصوص أحجار كريمة....

اتكأ بكتفه اليمنى على الباب المفتوح. المحرار في كفه اليمنى.

قال لها دون أن يجعل تعبيراً معيناً يتسلل إلى

ملامح وجهه: (ما الخطب؟ ما سر زيارتك المفاجئة هذه؟ أنا لا أكاد أصدق).

كل يوم، تجلس على كرسيها الهزاز، في الشرفة. تنظر إلى الأسفل. في الوقت نفسه، تقريباً، يعود من عمله، يركن سيارته في مرآب قريب من العمارة، يترجل من سيارته، حاملاً حقيبته السوداء... يعبر الشارع مسرعاً، تتطاير خصلات ناصيته التي خالطها الشيب. ويرفع يده إلى رأسه. يلتفت يميناً وشمالاً. ثم، حين يصل إلى الرصيف، الذي تتوسطه (بلوكات) ثمانية الشكل مزروعة بشجيرات خضر، يختفي عن الأنظار.

كانت تنتظر عودته من العمل، كل يوم، تقريباً. وحين يصل مدخل العمارة تحسب أمل الدقائق التي يستغرقها للوصول إلى شقته في الطابق الرابع.. وصل الآن، إلى المصعد الكهربائي. ضغط على الزر. رفع رأسه إلى لوحة الأرقام التي تشير إلى الطابق الذي بلغه المصعد. ينتظر قليلاً. يلقي نظرات عابرة على عدد من ساكني العمارة ممن ينتظرون المصعد. قد

يتأمل فتاة جميلة أو سيدة جذابة المظهر. يضحك مع أحد معارفه.. يجيب باقتضاب على سؤال عابر. يصل المصعد إلى الطابق الرابع. يفتح الباب.. يتمشى قليلاً.. ينعطف يساراً ثم يضع المفتاح في باب شقته ويدخل.

تترك كرسيها الهزاز يتأرجح في الشرفة. ترتمي على سريرها. الملاءة البيضاء مجعدة على الدوام. هي تكره ملاءات الأسرة. وتكره ستائر الغرف الداكنة. صديقتها هند تزوجتْ. تريح أمل رأسها على الوسادة، ساعات العصر ثقيلة الوطأ. هي لا تنام القيلولة. هدوء العمارة والشارع وربما المدينة بأكملها يزيد من وحشتها. تنظر عبر نافذة غرفتها المطلة على الشارع الرئيس.. تتنهد بعمق ويلوح الدمع في عينيها.

رمشتْ عيناها البنيتان، انتبه إلى حاجبيها الجميلين. ورقص شعرها الأسود الفاحم وهي تقول بإغراء: (ولم لا تصدق؟) ثم صمتت لحظة وقالت بنبرة حزينة ألفها من قبل: (هل هذا محظور؟) وقبل

أن تسمع جوابه هتفت قائلة: (أنا بحاجة إلى قرص مسكن). حين قالت ذلك أنزلتْ ذراعها من إطار الباب فرأى أصابعها الطويلة النحيلة.

أجابها بدهشة: (قرص مسكن؟! هل صعدت كل هذه السلالم ومشيت كل هذه المنبسطات لتطلبي مني في هذه الساعة قرصاً مسكناً. هل هذا معقول يا آنسة أمل؟)

ضحكت ضحكة صافية ثم قالت: (معقول أو لا معقول. هذا لا يعني شيئاً. هل تدعني أدخل؟ أنا بحاجة للحديث معك).

تراجع خطوتين للوراء ليسمح لها بالدخول. دخلتْ بتؤدة، بحذر. سارتْ على أطراف أصابعها. انتبه إليها، كانت ترتدي سروالاً من الجينز وفردتي حذاء قماشيتين ملونتين. شرعتْ تنقل بصرها، بفضول وحيرة، في أنحاء غرفته. مكتبة تعج بالكتب، بعضها موضوعة بترتيب ونظام، وبعضها الآخر مكدس باضطراب. قرب المكتبة طاولة صغيرة عليها مزهرية كريستال. وعلى الجدار المجاور للمكتبة ثمة

عدد مـن اللـوحات الفـنيـة لـرسامـين مـثل بـيـكـاسو وماتيس وفراغونار.

سألته فجأة: (هل لديك ضيوف؟ أنا أعرف أنك لا تستقبل أحداً في شقتك. لقد أجريت تحريات كاملة عنك. أنتَ من مواليد عام 1955. محافظة البصرة. أعزب. الولد الوحيد في عائلة لها ست فتيات).

قال لها مازحاً: (اجلسي أولاً. واخبريني من أين جمعت عني كل هذه المعلومات؟)

نظرتْ عبر النافذة المفتوحة، إلى العتمة في الخارج. رأت كرات مصابيح الشوارع المتألقة في الأسفل. تنشقت النسيم البارد، أرسلتْ آهة، رفعتْ شعرها بأصابع كفها اليمنى.

قالت: (يا له من منظر ساحر.. بغداد جميلة في الليل. كتاب مفتوح. نسيم بارد وزائرة فضولية..)

وضع يده على كتفها. كانت ماتزال تنظر إلى البعيد. وترفع خصلات شعرها المتدلية على عنقها من الخلف. دعاها للجلوس.

جلستْ على كنبةٍ قريبةٍ من طاولة الكتابة.

شبكتْ أصابع كفيها وركزت بصرها في وجهه وهي تقول:

(قبل أن أجيب على سؤالك.. قل لي، بالله عليك، كيف تطيق الوحدة؟) نهض. جلب علبة السجائر وجلس على كرسي وثير قبالة الكنبة التي جلست عليها زائرته الفضولية.

امتدتْ يده إلى علبة السجائر وأشعل سيجارةً وراح يدخن. وبعد أن أخذ نفساً عميقاً قال لها: (لا أدري. أنا أفضل العيش ليلاً مع الكتب.. أو بالأحرى مع الأفكار والأخيلة، فهي تعوضني عن البشر).

اعتدلتْ في جلستها. كان يدخن بصمت. راحت تتأمله.

هل هذا الرجل الجالس أمامها إنسان عاقل؟ أنفق ستة عشر عاماً وهو يمارس الطب. يجلس كل ليلةٍ مع كتبه وأوراقه.. هل الكتب هي سلواه

الوحيدة؟ لابد أن الأجور التي يتقضاها من المستشفى جيدة، وإلا كيف استطاع امتلاك شقة كهذه، مع أثاث بسيط وعدد من اللوحات الفنية. هل هو بحاجة إلى كل هذه الكتب قدر حاجته إلى زوجة شابة، مثلي، تزيل عنه غبار التعب.. سأجعله يذهب إلى الحمام حال عودته من المستشفى.. سأغسل ملابسه يومياً.. سأرشه بالعطر.. وأجعله يتنشق شعري حال خروجي من الحمام.. سأجعله يحلم بأنه يدخل الفردوس.

بعد أن أطفأ عقب سيجارته قال: (والآن قولي أولاً، لم أتيتِ فعلاً؟ ومن أين جمعتِ عني كل هذه المعلومات؟)

نكست رأسها. نظرت إلى سجاد الغرفة.

الوقت صيف. وهذا الرجل نصف المجنون مازالت سجادة غرفته مفروشة. أنا طويتْ سجادتي منذ ما يزيد على الشهرين. في الليالي المعتدلة، يحلو لي أن أنام.. فوق بلاط شقتي. أترك نوافذ غرفتي مفتوحة.. آخذ حبة الفاليوم وأنام..

سألها: (هيا، آنستي، لم تقولي حاجتك. أنتِ بحاجة إلى قرص مسكن فعلاً أم إلى التحدث معي؟)

أجابت بسرعة وبدون تفكير: (الاثنين معاً)

لم تنظرين إلي بهذه الطريقة.؟ أنت تحتاجين إلى أقراص مهدئة للألم، وأنا أحتاج إلى قلق وتوتر ونصف درجة مئوية من الحرارة.

قامت من الكنبة وجعلت تتصفح عدداً من الكتب جذبتها بعض العناوين الطنانة والأغلفة الأنيقة. سألته عن هذا الكتاب وذاك. سحبت كتاباً وقرأت العنوان: (العرس الوحشي). قالت: (ما المقصود بالعرس الوحشي؟)

أجابها: (أنا لم أقرأ هذا الكتاب. لكن يبدو لي أنها رواية تدور حول الحب العنيف).

حلت فترة صمت. قال لها: (حسناً، آنستي.. لا يمكن استقبال الضيف بهذه الطريقة.. سأعود حالاً).

ذهب إلى المطبخ. أعد القهوة. عاد بالصينية وفيها كوبان فخاريان مليئان بالقهوة. وضع الصينية على طاولة مستطيلة.

رفع الكوب إلى شفتيه وراح يرتشف قهوته على مهل. قال لها ضاحكاً:

(أفسدت علي ليلتي. أجلس كل ليلة كي أكتب).

كانت جالسة في نفس موضعها السابق تقريباً، لفت ساقاً على ساق، بين أصابعها مزهرية الكريستال. قالت له دون أن تحدق بوجهه:

(أعجبتني هذه المزهرية. هل اشتريتها من هنا؟ كريستالها من النوع الفاخر).

وضع كوب القهوة على المنضدة. وضعت هي المزهرية في حضنها. رفعت كوب قهوتها.

أجابها: (هذه المزهرية هدية من طالبة لبنانية درست معي في الكلية. قدمتها لي، قبيل تخرجنا، مع رسالة مفعمة بالمشاعر الجياشة).

راحت تتأمله بريبة وحنق ثم قالت: (أكانت مغرمة بك؟)

(لا أدري، في الشباب تكون مشاعرنا قوية لكن سرعان ما تهجع وتنام. أو ربما تموت).

شرد ذهنها عنه.

ويحك، دكتور، ما هذا الذي تقوله؟ كيف يمكن أن تهجع المشاعر القوية وكيف تموت.. ما لك تنظر إلي هكذا؟ أأنت حجر أصم؟ أي صنف من البشر أنتم معشر الأطباء؟ لم لا تسمعون دقات قلوبنا المفجوعة. لم لا تسمعون نبضات قلوبنا العاشقة. كلكم دجالون. كلكم. لا تبالون بشيء على الإطلاق. نتحول نحن بني آدم إلى أرقام وخطوط بيانية وصور بالسونار. أتحداكم إن صنعتم جهاز سونار يصوّر أوجاعنا نحن المعذبين. يصوّر آلامنا نحن النساء الوحيدات. يصوّر هيامنا نحن العشاق المتيمين. كل يوم أنتظر عودتك من المستشفى، أتطلع من شرفة شقتي، أرقبك وأنت تترجل من سيارتك، تحمل حقيبتك السوداء أما أنت فتحدثني الآن عن المشاعر القوية التي تهجع وتموت.

جرعتْ نصف كوبها. قالتْ وهي ماتزال تضع المزهرية في حضنها: (المزهرية خالية من الأزهار. هل أهدتها لك صديقتك بدون أزهار؟)

قام من مكانه.. مشى إلى النافذة وراح ينظر

إلى البعيد وكأنه يستعيد الذكريات. أجابها: (لا أدري، يا عزيزتي.. فقد مضى على ذلك ما يزيد على خمسة عشر عاماً).

جلس ثانية على الكرسي الوثير قبالة زائرته الشابة. عرفها منذ سنتين. كانت تظهر في إعلانات التلفاز. فتاة جميلة الملامح. مكتنزة الشفتين. في الأستوديو يضعون المساحيق فوق بشرتها، يصبغون شفتيها بالأحمر. يسلطون عليها الأضواء الساطعة.. تظهر دوماً مثل أميرة جميلة سعيدة الحظ.. لكنها في الواقع كانت تعاني من نوبات كآبة. أدخلها ردهته في الطابق الخامس مرتين.. كانت تأتي إلى غرفته. تجلس على كرسي قريب، وتحكي له عن حياتها.. هي تنحدر من عائلة ثرية جداً تقيم في قصر واسع. ذنبها الوحيد، أنها أحبتْ المغامرة.. عملتْ فتاة إعلان.. ربما من أجل الشهرة.. حب الشهرة غريزة أيضاً، أليس كذلك؟ ما ذنبها أن تعاني كل هذه الوحدة واليأس والمرارة. هكذا قالت له. وأسندت رأسها على مكتبه.

هي فتاة إعلان شهيرة، تمتلك سيارة حديثة وشقة في الطابق الأول في شارع الزيتون.. وما هو إلا طبيبها المعالج، وجارها الساكن في الطابق الرابع.. هي تستلقي.. على بلاطة الشقة كي تحلم بالسعادة. وهو يعدو بجواده الأبيض الجريح في قفار الألم وصحارى الظمأ.

قامتْ وجعلتْ تتأمل لوحة (الأرجوحة) لفراغونار. أطالت التحديق فيها. ومررتْ سبابتها الرشيقة على ساق الفتاة الجالسة الأرجوحة المرتفعة في الهواء. خلب لبها فستان الفتاة مطرز الحواشي.. الأرجوحة في غابة خضراء، ترتفع وتهبط، الكل سعداء، يضحكون ضحكات صافية.

وضعتْ راحتها على نهدها الأيسر، وتنهدتْ تنهيدة عميقة. عادت إلى الكنبة حيث تركت مزهرية الكريستال.. تبدلتْ ملامح وجهها تماماً. وفجأةً نكستْ رأسها وشرعت تبكي بحرقة.. نهض من مكانه، جلس لصقها، وضع يده على كتفها النحيلة.

(ما بكِ آنستي، منذ قليل كنتِ تتحدَّثين عن الغرام والأزهارِ والكريستال.. هل أنتِ متعبة؟)

واصلتْ نشيجها. غطت وجهها براحتيها. شرعت تمسح دموعها الحارة وتفرك أنفها الدقيق.. لاحتْ حبيبات العرق على جبينها.. وأمسى حاجباها الجميلان نديين.

(اهدئي يا أمل. لا يجدر بك أن تذرفي الدمع. طلبتُ منكِ مرات كثيرة أن تتحلي بالهدوء وأن تبتعدي عن كل ما يقلقك..)

استولى عليها غضب عارم. هبت واقفة، رفعت مزهرية الكريستال ورمتها بقوة على بلاط الشقة.. تكسرتْ المزهرية إلى شظايا صغيرة، تطايرت وتناثرتْ في أنحاء غرفته، وربما سقط بعض منها على كتبه ومجلداته المركونة في مكتبته.. كان لصوت تكسرها أثر السكن فوق جلده.

قالت أمل محنقة: (كيف لا أقلق، دكتور، كيف لا أقلق).

لزم الصمت. بعد قليل هدأت أمل ورفعتْ إليه عينين طافحتين بالحزن.

قالت باعتذار: ٠أنا متأسفة.. أنا زائرة خطيرة.. أفسدتُ عليك ليلتك).

بقيتْ جالسة أمامه. تكفكف آثار دموعها.. وتهدئ نفسها.

شرد ذهنها عنه ثانية.

أنا فعلاً إنسانة غريبة. أي زائر هذا يشرب قهوة مضيفه ويكسر مزهريته. أنا، دكتور، لم آتِ لآخذ قرصاً مسكناً ولا حبوب الفاليوم. أنا امرأة يائسة.. حياتي خاوية، فارغة. أنا مثل مزهريتك الخالية من الورد.. أنا، دكتور، ناعمة وشفافة مثل كريستال مزهريتك.. لكني ضائعة.. أنا امرأة تفيض حباً.. لكن ما من أحد يشعر بي.. ضع سماعتك الطبية هنا... اسمع دقات قلبي.. اسمع همسات قلبي.. قلبي يهمس لك. هل تسمعه.. أنا امرأة منخورة من الداخل.. مهمشة.. ما بالك تنظر إليّ (رفعتْ بصرها

إليـه). هيا، قـم وضـع سماعتـك الطبـية هنا، هنا، في هـذا المـوضـع... أنـتَ إنـسـان بـارد.. أنـتَ حـجر بـارد (نظرت إليـه باحتقار) تقضـي ليلتك تسوّد الصفحات وتضـع كالمعتـوه المحرار في فمك. أنا أعـاني المرارة.. لا أستطيـع الاخلاد إلى الراحة.. سيقودنـي اليأس إلى الجنون.

قـامت مـن الـكنبـة وجثـت عـنـد ركـبـتـيـه قـائلـة بـأسـى: (دكـتـور أنـا غـزالـة جـريـحـة.. كـان والـدي يـسـمـيـنـي غـزالـة فـي طـفـولـتـي.. أمـا الآن فـأنـا غـزالـة جريحة لا يلتفت إليها أحد.. انقذني. هل ستنقذني؟ أنـا لا أسـتـطـيـع الـنـوم وحـيـدةً فـي شـقـتـي.. لا أطـيـق الحياة.. خذني من هنا.. أرجوك.. أرجوك..)

...

عائلتي تخلتْ عني.. طردتني... وزميلتـي هند تـزوجـتْ مـخـرجـاً مـسـرحـيـاً أمـا أنـا فـأعـيـش وحـيـدة.. ويستولى عليّ حزن ثقيل كالأهرامات.

هدأ مـن روعـهـا. نـهـضـتْ ثـانـيـة وجلسـتْ علـى

الكنبة. بعد قليل نهضت وشرعتْ تتصفح مسوّداته. ثم أخذتْ مجموعة من الأوراق التي كتبها في الأيام الماضية وعادت لتجلس على الكنبة.

تمنيت أن أزورك مرات كثيرة.. لكني كنتُ أجد ما يشغلني.. أنتَ طبيب اختصاصي وأنا إحدى مريضاتك المشاكسات.. أتيت لأتحدث معك فكسرت مزهريتك وصرخت بوجهك وربما أسأت الأدب.. لكن.. لا بأس. فأنا امرأة مهمومة، قلقة، مسهدة، مثل أغلب بنات جيلي.. ما أتيتُ لآخذ منك قرصاً مهدئاً للآلام.. أنا أعرف أنك لا تحتفظ معك بأقراص مسكنة أو مهدئة كيلا تجعل ساكني العمارة يطلبون منك الدواء كل مرة. لكني أفلحتُ بأن أجعلك تلمس جرحي.. ضع أذنك هنا... واسمع همساته. اسمع همسات جرحي.. أرجوك لا تكتب أشياء خيالية لا أساس لها في الواقع.. اكتب عنا نحن المهمومين، المنخورين من الداخل، الضائعين بين الرمال المتحركة.. الذين نوشك على الغرق والغوص إلى الأسفل.. إلى الأسفل.. الجرح غير الملتئم لا ينبض فقط، بل هو

يهمس أيضاً، يهمس أيضاً.. وغالباً ما يجأر، يزأر، يصرخ، مثلما صرخ جرحي هذه الليلة في شقتك.

قامت لتغادر.. سلمته المسوّدات... رافقها إلى باب الشقة. وقبل أن تصافحه قالت باعتذار: (يا لي من زائرة غريبة. غداً سأشتري لك مزهرية أخرى.. لا يمكننا أن نهشم ذكريات الماضي..)

هز رأسه دون أن يتفوه بشيء. دارتْ على عقبيها وشرعتْ تهبط السلالم بلا صوت.

أغلق باب شقته بالمفتاح. تضوّع عطرها في غرفته.. كيف فاته أن يتنشق العطر طوال فترة مكوثها معه.

عاد إلى طاولته. وضع المحرار في فمه. وبقي جالساً فترةً طويلة أمام أوراقه وأقلامه. كانت حرارته قد ازدادت نصف درجة مئوية. لكنه لم يستطعْ أن يكتب تلك الليلة سوى كلمتين في أعلى ورقته البيضاء. بارزتان بحروف كبيرة واضحة: همسات جرح.

جـعـفـر
أحـمـد
الـعُـقَـيْـلـيّ

(الأردن)، شاعـر. مجموعـتـه القـصصية «هزائم صغيـرة، هزائم كـبيـرة» تحت الإعـداد للطبع.

هزائم صغيرة.. هزائم كبيرة

إلى تيسير ومارسيل: بحثاً عن وطن يليق بنا/ نليق به، ولو في المنفى..

(1)

ككلّ مسـاء، يـتـجـهـون إلى اليـمـين، ويـدخـلـون الزّقاق المعتم، بينما تقودُكَ خطواتك نحو اليسار، ثم تلتقون في آخر الليل في البيت نفسه.

يحدّثونك عمّا يجدونه من دفء، وقد عادوا مُنْهَكين، وفي الغالب يتهامسون فيما بينهم، محاولين إثارة شهيتك، تصطنعُ الانشغالَ عنهم، وتنكبّ على

الكتـاب الراقد بين يديك،... يضحكون قليـلاً.، وربما كثيراً، بمكر، وينامون، ولا تنام..!!

(2)

ضَجَرٌ شاسعٌ يجتـاحُكَ، وكآبةٌ أيضاً، لا تَفْهَـمُك غـادة على غيـر عـادتها، ولا تَفْهَمُـهَـا.. هذا الصباح أشحْت بوجهك عنها، فصرخَت متوسلة: «ليس ذنبي أنّ عمـل أبي يتطلب منـه ذلـك...» تركتـهـا، ألقيت سيجارتك على الرصيـف، ومضيت خارجاً من الحمى الجامعي.

... تجتاز ميدان جمال عبدالناصر، صوب شارع الاستقلال، تتأمل (الآرمات) الملونة على جانبيه: مطعم الحرية مكتبة جيفارا، سوبر ماركت النصر، مخيطة الثورة... تتسـاءل عن سر شغف الناس بهذه الأسماء والشعارات وقد حنّطَها التاريخ، وفرّغها من أرواحها.. وتفكّر في الكتابة عن هذه الظاهرة «المزمنة» التي تفشت في الآونة الأخيرة أكثر مما يجب...

رغبة ما تدعوك إلى زيارة حي شعبي ينزوي في

قاع المدينة، لم تطأه قدماك من قبل، تتذكّر مقولة أحد الرفاق: «إذا أردْت أن تتعرف إلى الحياة على أصولها، فزُرْ حياً شعبياً على هامش المدينة...!!»...

تتوغل في طرقاته الضّيقة، وأزقّته الملتوية، تلاطف الأطفال الذين يسدون منافذه، وتتمنى لو تعود طفلاً لم يتورط بعد في لعبة «الكبار».

(3)

البيت...

تُخيفك العتمة، تشعل الضوء، تترك الباب مفتوحاً، وتُلقي بحقيبتك على المقعد القريب، تدخل لتستحم، تبتسم قليلاً وأنت تقرأ على الباب: (الكونغرس).. «... على الرفاق، فقد حوّلوا البيت إلى صندوق من الطرائف، فالمطبخ مكتب سياسي، وغرفة النوم مقر (الكَولْسات)، والشرفة مركز المراقبة!!»... تخرج من الحمام، تضغط زر المذياع.. «... وأكد رئيس الوفد أننا لن نوقع قبل الحصول على حقوقنا بكاملها...» تخلع حذاءك، تتثاءب

بـقرف، تـرتـديه مـرة أخرى، وقـد قـررت الخروج رغـم النعاس الذي يداهمك...

(4)

«لنقلب المعادلة.. ماذا لـو كنت مكان أبيها» رمى سؤالـه في وجهك، نظرْت إلى الأرض - حيث قدمـاك - صامتـاً، نفثْت عـقب السـيجارة مـن بين أصعابك بحيادية، قضيت على أنفاسها الأخيرة، كرر سـؤالـه «مـاذا لـو كـنـت مـكـانـه، جـاوبـنـي...؟!» «سأرفض حـتـمـاً، لن أقـبل المسـاومـة...» قلت، ردّ هيثم: «ليس بوسعه الرفض، هو ليس أكثر من طرف صـغـير فـي لـعـبـة أكـبر مـنـه ومـنـك ومـنـي». قـلـت باسـتنكـار: «فـيـفـاوض، بهذا الـشـكـل المهين، ويـبـيـع الوطن في مزاد علني»، صرخ هيثم: «ليس لـه دخل ولا ذنب لغـادة، هو عبد مأمور لا أكـثر، مـهـمّـتـه أن يبصـم فقط..!!»، تمْتـمْتَ «ألـم يكـن بمقدورهم البحث عن إبهام غير إبهامه...؟!!».

(5)

المساء كذلك...!!

«السجائر وطني الأخير»... قلت لها عندما حاولت منعك عن التدخين، سألتْك: «وأنا...؟!»... اقتربْت منها وقرصْت خدّها بفكاهة.. «أنتِ وطني الأول...» فألقتْ برأسها على كتفكِ، وتعانقتْ كفّاكما... تمنحُك رائحة التبغ القدرة على الحياة، بينما يعيش رفاقك على روائح أخرى....!

يدخلون الشقة بصخبٍ، يقتحمون عالمك الذي نسجته حلقات الدخان. يبددونه... ويحاصرونك، غادة حاصرتك أيضاً، أخبار الهزائم في المذياع تحاصرك، وأنت... تحاصرك...!!

يحضرون عشاء سريعاً، تشاركهم، وتمضغ طعاماً بلا ذائقة، ثم تخرجون... عند مفترق الطرق. يتوقفون قليلاً، يستدرجونك لتشاركهم انبساطَهُم الليلي، يقول أمجد: «يوجد صبية مثقفة على ذوقك، جرّب وستعجبك...» يضيف طارق: «لن تستمر طويلاً إن ظللت تحمل السلّم بالعرض...» يزعجك تهكمهم، ترمي بالسيجارة التي تحترق بين أصابعك

أرضاً، تطحنُها بحذائك، وتدير لهم ظهرك متجهاً إلى اليسار، بينما أصواتهم وضحكاتهم تلاحق خطواتك.

(6)

تبدو مختلفة هذا الصباح، عصية على الفهم، تحاول إقناعك بشرعية ما يفعله أبوها، وتتحدث عنه كما لو أنه بطل...، رغبة في القيء تتصاعد من خلاياك، وصراع كالأخطبوط يضيّق الخناق عليك، تنسحب بعجل، وتتركها وهي لم تكمل حديثها الأحادي معك، تحتج عليك، وتصرخ خلفك: «أنتظرك مساء في الكافتيريا...».

كالعادة، تعيد قراءة الآرمات واليافطات على جانبي الشارع، لا شيء تغير، إلا غادة مرة سألك هيثم: «لماذا أحببتها؟!»، قلت: «لأنها منذ لقائنا الأول لم تتغير»،... ها هي تخذلك الآن، وتتغير، فما جدواك أنت وما جدوى كل المبادىء والشعارات مادام الأمر يتعلق بأبيها؟!... وتعود، وقد استولى عليك التعب إلى البيت... تُسرف في التدخين وفي

التفكير... وتبدو كما لو كنت بوصلة فقدت اتجاهها فجأة...

(7)

إنه حدث الساعة، مؤتمر صحفي لأبيها، يستعرض فيه مخزونه اللغوي الهائل،... حقاً ما أوسع براري هذه اللغة، وما أضيق الممرات نحو الحقيقة... تتذكر قول هيثم «أنت غير معني بكل هذه الهزائم والانكسارات...» صرخت في وجهه حينئذ: «يعني حُط راسك بين الروس» فأكمل هازاً رأسه بإقرار، أقرب ما يكون إلى الأسف: «وقول يا قطّاع الروس»... تخرج في العتمة، كم أنت وحيد، وكم العتمة جديرة بمن هم مثلك!!

(8)

تلتقيان عند باب الجامعة، تعاتبك: «أين كنت مساء الأمس؟!» تجيبها بسخرية: «أتابع أخبار انتصارات أبيك»، تستعطفك قائلة: «أرجوك لا أحب هذا الأسلوب».. تنتظر منك رداً، فتتهرب منها، متعللاً بتأخرك عن المحاضرة، وتتركها متأفِّفة.

ظـهـراً.. تذهـب إلـى قـاعـة الـشـطـرنج، تـلـعـب وحدك، وتنتصر عليك...

مـسـاء... تُـلقـي بـهـيـكـلـك عـلـى الـسـريـر فـي غـرفتـك البعـيدة، ليست لديك رغبة في فعل شيء، وربما ليست لديك قدرة على فعل شيء...

يدخل الرفاق، يتـهكمون كعادتـهم ممّا يدور في المحيـط من أحداث، فتُذكّرهـم بالمبادئ والالتزام بـها، يـقول أمـجد بلا مبالاتـه المُقيـتـة: «بلا مبـادىء بلا بطّيخ...» تتجادلان، ثم تخرج معهم، وعند مفترق الطرق، لا يجرؤون على دعوتك لتشاركهم سهرتهم.

... تكمِل مسيرك الليلي نحو اليسار، تصعد درجات المقهى، ينتظرك مقعدك المتربع فوق زاوية الـشرفـة المطلـة عـلى الـشـارع، تـرتمي فـوقـه، تـنـفـث السجائر، الواحدة تلو الأخرى، وتراقب ازدحام الوجوه فوق الأرصفة، وازدحام المشاهد في ذاكرتك، يقلقك أن تصبح غادة أكثر نأياً، وأن يصبح هذا الوطن منفى...!!

(9)

إجازة لمدة ثلاثة أيام ابتهاجاً بتوقيع المعاهدة، تبحث عن البهجة في وجوه الذين تعرفهم، فلا تجدها، ولا تراها في وجوه الذين لا تعرفهم...

الرفّاق، يذهبون إلى قراهم البعيدة، لينعموا بالإجازة بين أهاليهم، وتظل هنا... (تتسكع) في الشوارع غريباً، تتذكر الموعد الذي ضربته لك غادة، تنتظرها، وضجيج الكلمات التي ستقولها لها يربكك، لكنها لا تأتي، تهاتفك متأخرة، وتعتذر عن عدم مجيئها، بحجة عودة أبيها من السفر...

تشعل سيجارة أيضاً، تعود يتيماً إلى سريرك البارد، تتأمل قسمات وجهك في المرآة المكسورة... كأنك تذبل سريعاً، تنتفض واقفاً، ترتدي السترة السوداء، إنها مناسبة تماماً لهذا مساء...

تخرج نحو الشارع الليلي، وحين تقترب من المفترق، لا تنحني لليسار هذه المرة، تتريث قليلاً، توزع نظراتك بين الاتجاهات، ثم تجنح إلى اليمين،

حيث الزقاق المعتم، وقد قرَّرت أن تقضي ليلة دافئة...!!

عبد محمد بركو
سوريا

نوافذ على حكاية حب

نافذة (1)

يكتب الشاعر قصيدة.. يضعها في دفتر مدرسي ويجلس على العشب.. تأتي امرأة جذلى.. تضع حقيبتها بجانبها وتجلس على العشب..

ينظر الشاعر ويتذكّر.. تنظر المرأة وتتذكّر.. يضع الشاعر القصيدة بيد المرأة... تضع المرأة القصيدة في الحقيبة.. ويخرجان كمطر أخضر..

نافذة (2)

في الثامنة صباحاً.. تدخل المرأة وبيدها وردة..

يدخل الـشاعـر وبـقـلبه وردة.. ويـجـلـسـان مـتـقـابـلين كشجرة ونهر تحت سماء واحدة..

نافذة (3)

تُغنِّي المغنيـة في الشامنة صباحاً.. عـن رجل وامرأة ووردة وقصيدة..

وفي لحظة واحدة..

يلتفت الشاعـر إلى المرأة.. تلتفت المرأة إلى الشـاعـر/ تلـتـفـت الوردة إلـى الـقـصـيـدة.. تلـتـفـت القصيدة إلى الوردة.. ويبتسم الجميع..

نافذة (4)

فـجـأة.. تـنـهـض المرأة وتـضـع الـقـصـيـدة بـيـد الشـاعـر.. يـنـهـض الشـاعـر ويـضـع قـلبـه وعـيـونه في حـقـيـبـة المرأة.. تـفـتـح المرأة الحـقـيـبـة فـتـطـل عـيـون الأزهار..

يفتح الشاعـر القصيدة فيـفوح العـطر.. ويملأ الغرفة والعالم...

علــــــي
القـاسـمـي
العراق.

وفـاء

كان لونها الناصع البياض يعانق اللون الفضي لماء النهر، فيتداخل معه ويمتزج به ويذوب فيه، حتى يغدوان لوناً واحداً متموجاً متلألئاً، بفعل حركة النهر ونور القمر المطل من الأعالي. وينعكس ألق الضوء الذي يلامس جسمها الممتلئ على عينيّ وينفذ منهما إلى أعماقي فينبعث بي إحساس لذيذ بالنشوة والارتياح. تمد عنقها الطويل، المقوس كالخنجر، إلى الأمام وتغمره في الماء هنيهة، وهي منسابة على سطح

النهر كزورق ورقـي أنيـق، ثم تستـله وتنفض رأسها، فـتتطاير القطرات منه؛ ويلامس وجهي بعض الرذاذ البارد، فأشعر بانتعاش يسري في أوصالي، وأطلق ضحكاتي الطفولية وصرخاتي المرحة. تفرد جناحيها مشرعين، وتحرك ذيلها بسرعة، وبخفقات متناسقة متلاحقة من الجناحين تندفع محلّقة على بساط الماء لمسافة بضعة أمتار، وهي تبعث بصيحات حادة جذلى تمزق سكون الليل، ثم ترجع عائمة صوبي فأستقبلها باسماً فرحاً بعودتها. وتقترب مني وأنا على حافة النهر حتى تلامس أصابعي ظهرها الناعم وأمسد ريشها للحظات، فتتجه عائمة إلى وسط المجرى لتواصل سباحتها اليومية.

شغفتُ بتلك البطة منذ اليوم الأول الذي حملها فيه والدي هدية لي بعد نجاحي في السنة الرابعة الابتدائية. كانت صغيرة أول الأمر ثم أخذت تكبر بسرعة، وتكبر معها الألفة والمودة بيننا حتى أضحت صديقتي الأثيرة ودميتي المفضلة. اقترحتْ عليّ أختي أن نعطيها اسماً، فاخترت لها اسم (وفاء)، ودأبت

على مناداتها به حتى تعودتْ عليه، وأخذتْ تلتفت إليّ عند سماعه أو تجيب بـ (واق) وكأنها تقول (نعم). لا أدري لماذا انتقيت لها ذلك الاسم؛ لعله كان سهل النطق، أو تيمناً باسم بنت الجيران الصغيرة التي كانت ترتدي فستاناً من الدانتيل الأبيض، أو لأن أمي البدوية كانت تحضنني وأختي في حجرها كل ليلة وتروي لنا حكايات عن وفاء البدو: وفاء الصديق للصديق، وفاء الزوج للزوج، وفاء البدوي بالعهد الذي يقطعه على نفسه، أو لأن أبي كان يحفّظني تلك الأيام قصيدة للشاعر العربي الجاهلي السموأل الذي اشتهر بالوفاء والذي لا تبعد قريتنا كثيراً عن أطلال دياره. أعترف أنني على الرغم من عدم استيعابي الكامل لمفهوم الوفاء يومذاك فقد استهواني الاسم وخلعته على بطتي الحبيبة.

كانت بطتي تشاركني في طعامي، فعندما كنت أجلس إلى المائدة مع أبي وأمي وأختي، كانت وفاء تقف بجانبي حيث أضع لها شيئاً من السلطة فتلتهمها بسرعة خاطفة، وحينما كنت أراجع دروسي

كانت تقف قبالتي فأرمي لها بعض الحبوب، وفي مثل لمح البصر تلتقطها حبة حبة بمنقارها المدبب. وكانت ترافقني معظم الوقت في أرجاء المنزل، تتبعني من غرفة إلى أخرى ومن الفناء إلى الحديقة ومن هناك إلى السطح. وانتهى بها الأمر إلى النوم بالقرب مني على السرير، وكانت يداي تمسدان ريشها الناعم وأنا أستمع إلى حكايات أمي حتى تستسلم جفوني لسلطان النوم. وعندما أذهب إلى المدرسة صباحاً تمشي معي حتى باب المنزل؛ وعند عودتي من المدرسة أجدها واقفة عند باب المنزل وهي تحرك رأسها وذيلها باستمرار، وحالما تراني تطلق صيحات جذلى. وقد أخبرتني أمي أنه حين يقترب موعد عودتي من المدرسة تتجه بطتي نحو باب المنزل وتبقى هناك حتى أدخل. وقد راودتني فكرة اصطحابها إلى المدرسة، ولكنني خشيت أن يطردها المعلم من الصف أو يستهزئ بي زملائي التلاميذ.

كانت دارنا في أطراف القرية لا تبعد كثيراً عن النهر؛ إذ لا تفصلها عنه سوى مزرعة للخضروات لا

تحول نباتاتها دون رؤية النهر من شرفات منزلنا.
وكان من عادة والدي أن يخرج كل مساء بعد صلاة العشاء ليتمشى بعض الوقت ثم يتوقف على ضفة النهر قبالة دارنا ليتسلى بصيد السمك. كان يضع الطعم في السنارة ثم يلقي بها بعيداً في الماء، وبعد وقت يقصر أو يطول، يهتز مقبض السنارة بيده، فيبتسم إدراكاً منه أن سمكة ما قد علقت بسنارته، فيلف الخيط على الحامل حتى تخرج السمكة من الماء وهي تضطرب وتهتز بشدة، يقبضها بيده، يتأملها قليلاً، يخلصها من السنارة، ويعيدها برفق إلى الماء.
وكان من حين لآخر يصطحبني معه في نزهته المسائية تلك. ومنذ أن حازت البطة على عضوية العائلة صرت أرافق والدي كل مساء في تلك النزهة، والبطة في إثري، بطبيعة الحال. وبينما كان والدي يصطاد السمك ويتحدث إليّ، كانت البطة تسبح بالقرب منا في النهر، غادية رائحة. وعندما يحين موعد العودة إلى المنزل، يكفي لمناداتها باسمها لتقفل راجعة نحونا بسرعة، ثم تمشي متبخترة وراءنا إلى المنزل.

في مساء ذلك اليوم، كان والدي مسافراً إلى مدينة أخرى في شأن من شؤون تجارته. وبعد العشاء استأذنتُ والدتي لاصطحاب بطتي إلى النهر لتسبح. قالت أمي وهي مترددة: «إن أباك غائب، أليس من الأفضل الانتظار حتى يعود صباح الغد؟» أجبت محتجاً: «ولكنني لم أعد طفلاً، لقد أصبحت رجلاً. يمكنك الاعتماد عليّ، يا أماه». ثم انفلتُ خارجاً والبطة ورائي.

وسرعان ما وصلنا إلى النهر، واندست البطة في مائه، وكنت والقمر نشاهدها تعوم طافية على الماء وتغطس فيه ثم تبرز لتنتفض هنيهة ثم تغطس ثانية، وأنا أستمر في توجيه الكلام إليها ومداعبتها بأطراف أناملي، والقمر يواصل إرسال أشعته إليها ويغمرها بنوره.

وبينما كنا على تلك الحال ظهر في أعلى النهر سرب من البط البري، تتقدمه بطة كبيرة قاتمة اللون كالبجعة السوداء، وهو متجه جنوباً مع مجرى النهر،

ويطـلـق أفراده صـيـحات مـتـلاحقـة مـتـقـاطـعـة غـيـر مـتـنـاسقـة. توقـفـت بـطـتـي عـن اللـعـب ولـوت رقـبـتـهـا الطويلة نـحو سرب البط. وعندما صار السرب إزاءنا في وسط النـهر، رأيت بطتي تتحرك نحوه ببطء ثم بسرعة متزايدة وهي تبعث بصيحات مماثلة، فتنضم إلى بقيـة البط، وتنساب معه في وسط الماء منحدرة مع المجرى، وتأخذ في الابتعاد شيئاً فشيئاً. ناديت: «وفاء»، وأنـا أتـقـدم خطوة أو خـطـوتـين عـلـى جرف النهر، فلم تلتفت إليّ. وكررت النداء بأعلى صوتي: «وفاء، وفاء، وفـ... » فلم تعرني انتباهاً، بل لمحت عنقها الطويل يميل إلى البطات المجاورات عدّة مرات. وراح السرب يبتعد أكثر فأكثر حتى قارب منحنى النهر، وأنا أتطلع إلى القمر في الأعالي بين الفينة والفينة وكأنني أستنجد به. وبعد لحظات اختفى سرب البط وراء المنحنى، ولم أعد أبصر شيئاً في وسط المجرى سوى انعكاس نور القمر على صفحة الماء المتموجة.

وقلت في نفسي ستعود إليّ، إنها تعرف الطريق

تماماً، إنها متمرسة في السباحة في النهر. سأنتظرها، سأظل في مكاني. وأحسست ببرودة الماء في قدميّ، فتذكرت حكاية روتها لي أمي ذات ليلة. قالت: «إن ليلى التقت قيساً في صباح يوم ربيعي وهي تحمل جرة ماء على رأسها، طلبت منه أن ينتظرها حتى توصل الماء إلى أهلها وتعود إليه. وعندما شارفت مضارب أهلها ألفتهم يرحلون بجمالهم، وحملها إخوتها ووضعوها في الهودج، ولم يعد بإمكانها أن ترجع إلى حبيبها لتخبره. وظل قيس ينتظر وينتظر حتى أعشبت الأرض من بين أصابع قدميه». لا شك في أنه شعر ببرودة في قدميه، هو الآخر. لقد انتظر طويلاً، وأنا سأنتظر بطتي فهي لابد أن تعود إليّ.

وبقيت في مكاني منتظراً مصطبراً حتى وافتني أمي وأختي على ضفة النهر لتلفياني والدموع في عينيّ، وأخبرتهما منتحباً بما جرى، ولبثت أردد «لماذا؟ لماذا؟ لماذا تخلت عنّي؟» وهما تقودانني إلى المنزل. وقالت أمي، وهي تقبلني وتضمني إليها وتمسح الدموع من خدّي: «لعل البط ومجرى النهر جرفاها

من غير إرادة منها، ولعلها تعود إلينا إن استطاعت لذلك سبيلاً». وأطبق الصمت شفتي أختي ولكنني كنت ألمح نظرات الأسى والمواساة في عينيها.

ونمت تلك الليلة على وسادتي المبتلة بعبراتي، وعندما استيقظت ضحى الغد لفت نظري رجلان يحفران شيئاً في فِناء الدار الواسع. وذهبت لأقبل يدي والدتي كعادتي كل صباح، فوجدت أمامهما بطتين صغيرتين. وقال لي والدي: لقد جلبت لك معي هاتين البطتين هدية، وسنبني حوض سباحة في حوش المنزل لتعوما فيه دون أن تضطر إلى اصطحابهما إلى النهر». ولكنني أجبت بصوت متهدج وأنا مطأطىء الرأس: «أريد بطتي، وفاء».

عـبـد الـلـه
بـاخـشـويـن

من مواليد 1953 (السعودية). أصدر مجموعتين قصصيتين: الحفلة (1985)، النغري: سيرة عصفور وقصص أخرى (1997).

قصة قصيرة جداً

رد فعل

خذلتني يدي لم تستجب قوّتها لعنف رد فعلي، عندما التقطت زجاجة الكوكا وأرسلته باتجاه الرجل الذي أصبح رأسه مجرد هدف.

وأنا أطوحها لأشحنها بكل ما استعر في من غضب، شعرت بارتجاج ثقل ما فيها، يعيق سرعة اندفاعها، وهي تنطلق نحو الوجه الذي مضى يتحدث

غيـر آبه بي. أيقنت أن ثقلها قد يجعلها تنحرف عن المسار الذي حددته لها.

شعرت بالخيبة وأنا أراها ترتطم بصدر الرجل، وماؤها يتناثر ويصيب كل من كان يجلس بالقرب منا.

تم ذلك في لحظة وجيزة بمثل لمح البصر.

قفزت من مقعدي وسط ذهول رواد المقهى. أخذت ألوب على نفسي بحثاً عن زجاجة أخرى وأنا أصرخ متوعداً.

«تشتم أبويا يا حيوان.. والله أقتلك».

كان الرجل قد هب ذاهلاً غير مصدق.. ينفض سائل الكوكا عن ثوبه، ويردد كلمات احتجاج لم أسمعها وأنا أتجه للزجاجة التي تدحرجت بالقرب منه.

ميزت صوت أبي، يصرخ بي ناهراً مستنكراً. ثم قبل أن أصل للزجاجة، وجدت نفسي معلقاً في الهواء، بعد أن التقطتني ذراع أبي والتفت حول

خصري بإحكام. أخذت أرفس بيدي وقدمي محاولاً الإفلات، وأنا أردد «والله أقتله.. والله أقتله».

كنت قد جئت لرؤية أبي في المقهى الذي اعتاد الجلوس فيه، فاستبقاني وطلب لي زجاجة كوكا. بدا الرجل مسروراً برؤيتي مازحني بكثير من الود ومضى يكمل حديثاً مرحاً، تخللته ضحكاتهما.

لم أكن قد شربت سوى نصف ما في الزجاجة عندما سمعته ينعت أبي بتلك الكلمة البذيئة التي زلزلتني.

أعادني أبي للأرض، ثبتني بين ذراعيه، صرخ في بغضب:

«يا واد عيب.. هذا عمك سالم صاحبي.. ما عرفته».

دفعني نحو الرجل بغيظ وهو يقول آمراً:

«هيا سلم عليه.. قل له سامحني».

دفعت يده بعنف، شاعراً بالغضب منه.. اتجهت

لخارج المقهى وأنا أصرخ رافضاً الاعتذار: «روح يا شيخ.. فارقني انته وأصحابك».

أخذت أبكي، بينما هم خلف ظهري يضحكون. محبوب لا.. لا.. يابو العيال لا.

أخافنا صوت أمي المستنكر الجزع، بعد أن وصل إلينا، متداخلاً مع حدة ذلك الثغاء الأبكم الذي يشبه العويل.

تصايح إخوتي بخوف.. اندفعنا من الحجرة متراكضين. توقفنا في باحة البيت ذاهلين.. ونحن نرى أمي بلباسها المقلم الطويل، وسديريتها القصيرة تقف في مواجهة أبي، ممسكة بخناق ثوبه.. تهزه بعنف وتصرخ معنفة:

«انته جنيت.. انته جنيت؟»

كان محبوب قد تحرر من تحت قدم أبي، وابتعد متعثراً.. اعولت أختي.. أخفت وجهها خلف ظهري، بعد أن رأت السكين في يد أبي وهو يقف مستسلماً

لعنف رد فعل أمي التي لم يسبق لنا رؤيتها بمثل هذه الشراسة في مواجهته..

لا ندري كم طالت مواجهتها تلك. لكن نفوسنا هدأت، بعد أن انتزعت السكين من يده.. واستدارت على عجل. أربكها وقوفنا المترقب الوجل. التفتت نحو أبي وقالت بانفعال: «حسبي الله عليك يا بعيد.. تخلينا نخاف منك يوم العيد».

احتضنت أختي تحت ذراعها.. مضت نحو الحجرة وهي تهدهدها مطمئنة.. كان أبي يقف هادئاً يرخي كم ثوبه، ويهز رأسه بأسف.. وقف بباب الحجرة قال محتجاً:

«أعوذ بالله منك ومن يومك.. كل هذا عشان محبوب»

أخذت تصب له الشاي، وقد استعادت هدوءها قال مناوراً:

«إيش.. هو محبوب بني آدم؟»

قالت بحزم: والله ما تدبحه وأنا ربيته مع عيالي.

قماشة عبد الله السيف

من مواليد السعودية. أصدرت مجموعتها الأولى: محادثة برية شمال شرق الوطن (1992). مجموعتها الثانية تحت الإعداد.

العام العاشر

كانت رياح الشمال تخطو كسلى متراخية.. تعابث شجيرات الصبار بسيقانها الشائكة مثيرة لغبار خفيف.. دارت عيناها في المكان فوقعت على ورقة تقويم تهفو بها الريح على المنضدة فترفرف كالراية البيضاء التي رفعتها يوماً.

استوقفها أنها تحمل الذكرى العاشرة لتجربتها الراهنة.. فتحرك تيار أفكارها.. حاولت أن توقفه أن تنسى.. قامت بعمل ما.. أخذت جريدة قديمة

لتقرأها.. لكنها كانت تقلب الجريدة بيدها.. وفي ذهنها تقلب بحثاً عن إجابات مقنعة لحدث ظاهرة اختيار.. قسري في حقيقته.

حدث لم يكن عرضاً أو عابراً.

يضنيها البحث عن قصة تثير في ذهنها أكثر من سؤال ولا تحمل إلا جواباً أكثر غموضاً.

قصة ربما أنها تكرر التباساتها كل عام مع بنات جنسها.

قصة ظلت جرحاً لا تجرؤ على فك الضمادات عنه.

الآن تربكها ورقة تقويم.. تهز جذوع ذاكرتها.. تعيدها إلى التأمل والاسترجاع.

وهي التي لم تعتد على تحليل مشاعرها ومواقفها.

تقفز تلك الحكاية بتفاصيلها وكأنها تبصرها بين سطور الجريدة التي لاذت بها.

تستيقظ أشياء متتابعة في مخيلتها..

تتذكر بأنها لم تمارس دوراً يذكر في هذا الشأن أبداً.

كل ما كان لها نسبة ضئيلة تمثلت بقول «لا» أو «نعم» وينتهي دورها.

وكان هو كمن يشتري ورقة يانصيب رابحة..!

«وعندما يكون الآخر بالنسبة إليك مجرد صدفة..

عندها تضيع النسب بين الأشياء، وبينك وبين ما سواك».

تتذكر بأنها قالت: «لا.. لا أريد..».

وأنها قالت من قبل مراراً.

إلى أن جاء ذلك النهار الصيفي الذي تآزر مع الظروف ليأتي تساؤل أمها:

وترفضين أيضاً..؟

- نعم..

لكن ضغط الدم والسكر الذي ارتفع لدى أمها جعلها في حلقة مفرغة عدة أيام انتهت بقول: «نعم».

«نعم» قالتها أخيراً.. لكن دون إرادة أو تفكير أو إحساس.

قالتها كلمة واحدة.. فادحة.. لا ارتداد فيها..

قالتها.. كطلقة من بندقية في غير مكانها..

كانت يومها كل العيون والأصوات والظروف تردّد وتضغط وتلح.. وسؤال النسوة زائرات أمها الذي يندى جبينها منه خجلاً يلقيه في كل مرة أمامها «لم.. لم تتزوجي بعد..؟».

لكن.. «أتسلم أمرها بهذه الطريقة؟»..

«أيتم لها مثل هذا الحدث دون أن يتوهج فرحاً؟»...

«أين تذهب طموحاتها السامقة إذن..؟».

هكذا تسأل - بذكاء يقظ - أخاها الأصغر في تحفظ مكتوم.

لـتجد نفسهـا فـي سياق لا خيـار لـها فـيه.. ولـم تشارك في نسجه ولا سبيل لتجاهله أو اختـراقه.. مما دفعهـا للتسـاؤل: «لماذا أصر على التـشبث برأيـي؟» «وما جدوى رفضي مادمت أملك لا أو نعم فقط ولا أملك أسبابها أو مقوماتها؟

إنـنا فقط نقـنع أنفـسنا بأنـنا نـختـار.. لـكننا حقيقة لا نفعل ذلك..».

هكذا بدأت تجربتها الراهنة.. وأي ندمٍ الآن يُعد ضرباً من البلاهة.

* * *

تميل بذراعيها إلى المنضدة مستسلمة لذكرياتها كـيف أنهـا تقبلت الأمر الـواقـع.. وأقـبلت علـى حيـاة غـير واضـحة المعالـم بدافـع الحـس بالـواجب.. عـلى أنـه بدا لـها فـي بدايـة الأمر مـتكلفاً كمـن يمثـل دوراً ما أو يـتقـمص غـيـر نفـسـه.. وكـيـف أن الـشـهـور كـانـت تمر والـتحـولات الـنوعـيـة تظهـر بمرورهـا.. وأنهـا لاحظت الاختلاف بـينهما فـي القناعات والذاكـرة.. الأمر الذي

جسّد لها الإحساس بالخسارة.. بانتزاعه منها فرصة لم تعد متاحة.. وساورتها حيرة: كيف أنه لم يستطع أن يطوي المسافات بينهما أو يقلصها على نحو ما...؟ ولم تكن لتقارنه بمآثر أبيها أو أخيها الأكبر وإنما رأته كما هو.. يغطي انهزاماً داخلياً بنصر خارجي وترددت في أذنيها مقولة جدتها لأبيها «القسمة والنصيب» بمعنى أدركته الآن فقط كما لم تدركه من قبل.. وتطلعت إلى الأفق الغامض.. القمر الذي كان يطل بضوء آسر واهن بدا لها من وراء قضبان النافذة الشمالية مثل شظية نحاسية تلمع من بعيد.. وتذكرت قول صديقتها يوماً:

- الواقع شيء آخر.. يختلف تماماً عن الحلم.

وسألت نفسها بتأنيب: «العام العاشر انقضى.. لكن ما هذا.. ما بال أفكاري قاتمة هكذا؟».

ثم جالت بعينيها ذاتي المقلتين السوداوين في المكان بقلق مباغت قصير.. وقالت: «هذا المكان كم مرة أحسست بأنه مثل سد يوشك أن ينهار..!» وكان

ثلجاً رمادياً ناعماً يملأ كل شيء.. ويرتسم من الطرف المقابل ظل مائل.. حدث أن حاولت أن تبتعد.. أن تذهب.. بدأت تهيئ نفسها.. لتترك كل شيء.. وراءها.. تاركة للنهاية مجالاً رغم أنها تكره النهايات.. لكن شيئاً التصق بها فجأة.. دون إرادتها.. منعها.. شيء منها كذراعها.. أو كقدمها.. ابنها الذي جاء فيما بعد إلى الدنيا ليغير مسار تفكيرها.. فلم تعد في مركز قوة لتتخذ قراراً ما.. وإن ظلت مستقلة محتفظة بشخصيتها المتماسكة.

وقالت بتأمل: «حين يشعر المرء بالعجز عن اتخاذ قرار ما.. فإنه سيكون في إحدى حالتين إما أن يتلاشى تحت شعوره بالعجز وإما أن يتماسك ويبقى على نفسه كما هي..».

وقد جاء طفلها ليزرع بها قلقاً جديداً..

كانت تخاف على طفولته وإنسانيته ووجوده مما يحيط به.. في أرض لا تنبت سوى عشب بري مدبب

فآثرت البقاء إلى جواره وليذهب كل شيء إلى الجحيم بعد ذلك.

ثم تلك الرغبة المجنونة في الطمأنينة والأمان كمن يتعايش مع هدنة حزينة.

وبرق شيء في ذاكرتها فجأة وقطبت وهي تغمغم:

«ذلك اليوم الذي تنامى فيه غضبي.. ما إن وقعت عيناي عليه وهو يرمي بلعبه ويلقي بعربته ويهرع إلي يتشبث بأطراف ثيابي حتى تراجعت من أجله.

تقهقرت كجيش منهزم.. فيما استمر بعد ذلك يتشبث - بخوف عجيب - بأطراف عباءتي السوداء حين ألف قامتي بها خارجة..».

واستطردت:

«لعل خوفي عليه هو الذي منحني القدرة على التكيف.. إن تكيفي بحد ذاته يعد نصراً مؤزراً..

آمنت اليـوم أن العاطفة لا تخضع لقانون لكن القانون قد يخضع للعاطفة».

* * *

واستعادت حديثاً متقطعاً بينهما حيث قالت له وهي تقرر أمراً مفروغاً منه:

- أنا ضحيت بنفسي مرة من أجل أمي ومرة من أجل ابني.. أما أنت فإنه يمكن أن تمر بك لحظة تضحي خلالها بكل شيء من أجل نفسك.

يومها رمقها باستغراب وارتباك خفيف قائلاً:

- أنا.. كيف خمنت ذلك؟

وداري ارتباكاً بضحكة عالية.

وكانت قد قالت له من خلال حديث آخر:

- إن علاقتي بك تشبه إلى حد كبير علاقة صاحب الفندق بالنزيل.. فأحدهما لا يشارك الآخر همومه مشاركة حقيقية وتطلعت إلى أن تسمع منه بياناً أو توضيحاً أو تبريراً.. لكنه لم يفعل.. كأنه اعتبر الأمر دعابة.

ثـم تجنبت أن تـناقـشه وظـلت صامـتة كالـظل..
وقد وضعت في اعتبارها كل المثل والقيم التي آمنت
بها.. وفرقعت أصابعها ووجدت كفيها كقطعتي ثلج
وشعرت بعبء أشد ثقلاً.. فنظرت بلحظ فاتر نظرة
أحاطت بالمكان المحسوس حولها.. ولم تكن أفكارها
تنساب بل كانت تتهاوى وقالت حقائق وكأنها تكيل
اتهامات: «المرأة العربية مثل المدن العربية تحترف
الصمود.. فليست هي بالمنتصرة وليست هي
بالمنهارة.. ولعل الصمود خير من الدخول في حروب
غير متكافئة.. وأجدى من المرافعة في قضية الهزيمة
مقررة بها سلفاً..».

وتلفتت حولها كمن يبحث عمن يتضامن معه أو
يصادق على أقواله ولكن لم يكن ثمة أحد معني
بشأنها وقررت أن الميزان سيظل ساكناً على الرغم من
عدم اتساق كفتيه وامتد بصرها لترى من خلال الباب
الموارب للغرفة المقابلة جانباً من مكتبها فسرت في
قلبها صلابة وراودها أمل غامض خلاب فقالت
لنفسها في صوت مهموس..

«ملجئي الأمين هذه الغرفة شيدت أرففها بالكتب في محاولة إعادة بناء شيء تهاوى.. فهل أكثر خصوبة من خيال سجين يشق قناة في تضاريسه..؟ في نفقه المسدود؟

وهل أقوى من إرادة مصفد..؟»

وتذكرت أن الكتب كانت كالقناديل المضيئة في ليلها الطويل الراكد الهواء.. وأنها راحت تكرس انتماءها إليها من جديد وتؤكده.. متناسية أي انتماء آخر.

تلوذ بحضرة كتاب على حين غفلة من الوقت.. تفرح بهذا الملاذ.. كلما ارتادته كطفلة عثرت على لعبتها التي ضاعت منها طويلاً.

منفذ يسمح بتسرب شيء من الغضب أو الحزن أو الذكرى.

ورقة التقويم التي أعلنت أخريات العام العاشر لم تلاطفها اقتحمت أفكارها وقلبها ولم تدفع إلى

خاطرها إلا كل الذكريات السيئة.. لازالت الريح تهفو بها.. تقترب منها تنتزعها من باقة الأوراق.

تقبضها براحتها.. تضغطها بين أصابعها.. تمزقها إرباً صغيرة.. ثم تتهالك على أريكة كالذي أضناه جهد.

عبد العزيز صالح الصقعبي

من مواليد 1958 (السعودية). كتب الرواية والمسرحية. أصدر مجموعات قصصية، منها: لا ليلك ليلي ولا أنت أنا (1983)، يوقد الليل أصواتهم ويملأ أسفارهم بالتعب (1993)، أنت النار وأنا الفراشة (1999).

عبث

«يحق للريح أن ترتع في جسدك فتملؤك صخباً وعنفواناً.. أنت وإن كنت هاجسي في بعض اللحظات.. ولكن.. تجعلني أكابد كراهيتك»

تناسوا هذا الكلام ودعوني أحدثكم عن أمر حلّ بي جعلني أهذي قليلاً.. جميل أن تجد نفسك تهذي.. ليس دائماً.. الساعة الآن الواحدة ظهراً.. من يوم سبت كئيب يكرهه كل من ارتبط بعمل رسمي.. أنا لا أختلف كثيراً عن بقية الخلق.. فأنا مجرد ناسخ على آلة كاتبة تحولت بفعل التطور إلى جهاز حاسب آلي.. أراحني هذا الجهاز من جهد التفكير بكيفية

طباعة الخطابات بصورة ترضي رئيسي بالعمل الذي يصغرني سناً.. قدر هذا.. من منكم فكر بجدلية المراكز.. عموماً لا أعبأ بذلك فكلٌ لما كتب له.. ربما تتساءلون ماذا يعنينا من ذلك.. لا بأس.. أتفق معكم أن العمل الرسمي كئيب وأيامه متشابهة.. فيوم السبت هذا يشبه أي سبت قبله باستثناء أيام الإجازات التي نادراً ما أحصل عليها.. ولكن.. هذا السبت مختلف.. بالذات عندما أشار عقرب الساعة إلى الواحدة ظهراً.

أنا هنا أجلس على مقعد أمام جهاز الحاسب وأصابعي تلتهم أحرف لوحة المفاتيح لأكتب خطاباً يعج بمصطلحات إدارية فجّة.. كنت أوشكت على إنهائه لأذيله باسم رئيسي.. ثقلت يداي وهما تضغطان على لوحة المفاتيح.. عندها شعرت بتحول ذلك الجهاز إلى صندوق خشبي أصم.. خفت كثيراً.. كدت أقع.. اتجهت إلى مكتب رئيسي وأنا أرتجف رعباً لأخبره بذلك الأمر.. أردت أن أحمل بعض الأوراق.. فوجئت بتحولها إلى قطع خشبية.. تركت

كل شيء واتجهت إلى مكتب الرئيس.. يذهلني دائماً مكتب الرئيس.. أنتم معي.. أغلب «المديرين» يحبون أن تتضخم الأشياء حولهم فالمكتب.. ضخم.. والمقاعد كذلك.. ليبدو المراجع أمامهم قزماً.. هل لاحظتم ذلك.. وأنا هنا مرؤوس.. لاحظتم مدى تقزمي.

لحسن الحظ كان الباب مفتوحاً.. دلفت.. انتشلت كلمات التحية من بين فكي.. لم يجب كالعادة.. أصبحت واقفاً قبالته.. أعرف أنه سيصرخ في وجهي وسيسأل ماذا تريد وأين الخطابات.. وقد هيأت نفسي لأقول له ثمة أمر حدث لجهاز الحاسب.. وسيصرخ بصوت أعلى وما شأني.. اتصل على الصيانة ودبّر أمرك.!

أعرف.. وأعرف أنكم ستقولون إذا كنت تتوقع هذا فلماذا تذهب إليه لتخبره.. ولكنكم تعرفون أن جهاز الحاسب الآلي لم يتعطل بل تحول إلى كتلة خشبية.. وهنا أعتقد أنه من المهم أن أخبر مديري، رئيسي بالعمل - سموها كما شئتم -...

وها أنا أقف قبالته.. مؤشر الساعة لم يبرح الواحدة.. ورئيسي يقابلني بابتسامة ماداً يده لمصافحتي..

يا لسعادتي.. ويا للطمأنينة التي بدأت تدب في جسدي.. مددت يدي.. كانت يده هي الأعلى محاطة بكل الأشياء الضخمة ويدي تتدثر بالتقزم.. ولا بأس.. فاليوم سبت والساعة الآن الواحدة ظهراً..

يبدو أنه مبتهج..

لذا فكل كلمة سيقولها قد تفيدني..

اتجهت يدي بكامل أصابعها ليده الرحبة المعطاءة لتصافحها..

لم أشأ أن أفسد نشوة ملامسة جزء من جسده بالكلمات التي تخرج من فمي.. ليكن تركيزي موجهاً ليدي ولأعطي مجالاً لفمي بعد ذلك عندما تركن يدي بجانبي مزهوة بالسلام واللقاء..

اقتربت كثيراً لتصل يدي إليه..

صافحته..

أجل صافحته..

أعرف أنكم ستقولون وماذا يهمنا إذا أنت صافحته فكثير من الصغار يصافحون الكبار.. ولا يحدث شيء.. ولكن اعذروني إذا قلت لكم إن رئيسي من فصيلة الكبار ولكنه من فصيلة نادرة.. عذراً لهذا المصطلح.. ولكن ما أقوله حقيقة فهو من النادر جداً أن يتفضل علينا بابتسامة.. قد يقول أحياناً.. كيف حالك ولكنه لا يبتسم.. ولا يصافح.. يومئ أحياناً برأسه مسلماً.. وهذا يكفينا.. ولكن ها أنا أصافحه..

هل أكتفي بذلك..

لحظة..

انتظروا.. فقد.. فقد حدث شيء مهم عندما صافحته..

أرعبني.. وسيرعبكم.. سيجعلكم تبتعدون عني..

لقد تحول رئيسي إلى كتلة من الخشب.. ليس

تمثالاً.. بل كتلة من الخشب.. سقطت على الأرض.. سمعت صوت سقوطها.. لقد امتص التضخم الذي يتسم به مكتبه صوت ذلك السقوط على الرغم من أن الصوت كان مريعاً.. بالذات لي..

ماذا أعمل.. قررت أن أغلق باب المكتب وأن أضعه على كرسيه الوثير..

المشكلة أن كل شيء أمسك به يتحول إلى كتلة من الخشب.. فكرت أن ألهو قليلاً..

رائق أنا.. لا بأس.. أمسكت بكتلة المدير الخشبية.. فوجئت بتلك الليونة لذلك الخشب.. ليونة أشبه بالطين المهيأ لعمل أواني الفخار.. الأمر الذي أجج الحماس في داخلي.. لأكوِّن منه شيئاً..

تتفقون معي أن أي مرؤوس سيسعد عندما تأتيه الفرصة بالعبث برئيسه.. بالذات إذا كان متسلطاً..

وكل مرؤوس مثلي لديه من التراكمات ما تحفزه على فعل ذلك..

أكيد تتفقون معي..

فماذا أفعل بهذه الكتلة الخشبية اللدنة..

بعضكم ابتسم.. ربما قرأ فكرة خبيثة ارتسمت في ذهني..

ولكن ما ذنب الحمار..

هي محاولة وسأغادر بعدها المكتب..

اليوم سبت.. وعقرب الساعة لازال يشير إلى الواحدة ظهراً.. والخشب الذي يتشكل في يدي.. لم أستطع أن أنحت حماراً.. ولكنه شيء أشبه بذلك.. حقيقة ليس أشبه بذلك فالخشب تحول إلى كائن مخيف.. ليس بالإنسان ولا الحيوان.. يذكرني كثيراً بما أشاهده في أفلام الرعب وغزاة الفضاء..

وضعت تلك الكتلة على كتلة الكرسي الوثير الخشبية.. وغادرت مسرعاً عائداً إلى مكتبي.. لمحت الساعة التي أضعها دائماً بجانب جهاز الحاسب لمعرفة وقت انصرافي إلى البيت.. كان قلبي يخفق كثيراً.. تحاشيت أن ألمس أي شيء.. فوجئت بأن مؤشر

الساعة غادر الواحدة كما غادرت مكتب المدير.. تذكرت كتلة جهاز الحاسب الآلي.. فوجئت بأن الجهاز عاد إلى سابق عهده.. عدت إلى مشروع الخطاب.. اتجهت أصابعي إلى لوحة المفاتيح لتلتقط أحرفاً أسطر بها اسم رئيسي.. كل شيء طبيعي.. طبعت الخطاب.. أخذت بقية الأوراق..

تقولون كانت غفوة أثناء العمل.. ربما.. ولكن ما شاهدته أشبه بالكابوس المزعج.. قرأت المعوذتين.. ربما هي إشارة لقرب فترة التقاعد.. هذا مصير أصحاب الوظائف الرسمية.. وعموماً عندما يتحقق ذلك سأكون حراً.. أخذت الأوراق.. ابتسمت قليلاً.. تذكرت كيف أنني قبل دقائق كنت أعبث بكتلة المدير الخشبية.. تصنعت الجدية ودلفت مكتب المدير.. كل شيء على ما هو عليه سابقاً.. اتجهت عيناي إلى المدير.. قابلني ذلك الكائن المخيف..

لمحت ساعة الحائط خلف مكتبه..

كانت عقاربها تشير إلى الواحدة إلا دقيقة.

صالح سعيد باعامر

روائي، من مواليد 1946 (اليمن). أصدر مجموعتين قصصيتين: حلم الأم يمنى (1983)، دهوم المشقاصي (1992)، إضافة إلى مجموعة «بعيداً عن البروتوكول».

الصمت ثانية

حين أيقنت أن أهل ديرتي تخلوا عني بسبب قصائدي شعرت أن نقيصة مستني فلذت إلى الخلاء مهتدياً بحكاية جدتي تلك التي لجأ فيها ذلك الفتى في ذلك اليوم إلى الوادي يشكو فيها حالته.. فظهر له «سيرون» وحل مشكلته وعاد الفتى ليمارس حياته الطبيعية مع خلق الله..

تحت نخلة هرمة قرفصت وحررت من داخلي

شكواي فأتاني من عمق الصحراء صوت سبق لجدتي استحضاره:

- عربن يا عربن، ما بك يا عربن؟

- أشكو حالي مع أهل ديرتي.

ورأيته هذه المرة أمامي ظهر في شكل إنساني صحراوي يرتدي اللون الأبيض ويسامق النخيل.

- أنت من تمثلتك في حكاية جدتي؟

- أنا من اتخذتني جدتك حيلة فنية لحكايتها تلك.

- وهل مازلت منقذاً لمثل من يشكو حالتي.

- حالتك أصعب.

- ....

- ارفع رأسك واحلم.. والحلم هو الدواء.

ودخلته ودخلني.. تقمصنا بعضنا بعضاً.. تحولنا إلى أشكال أرضه:

مياه رياح، عواصف، زوابع، حيوانات وقبل أن نعرج عالياً صرنا شكلاً خرافياً خارقاً.

فـي ثـوان اقـتـحمنا الأسوار، الحـواجز، الحدود، القـارات وفوق مدينـة تـفصل الـشرق عن الـغرب حددنا وجهتنا المبتغاة، وهبطت قارة أخذ الثلج فيـها ينعدم.

حللت الامـتداد الزاهـر الذي لا يـحده شيء سوى الماء.

فـي ذلك الامـتـداد الـصحراوي ألـف نـاظري رؤيـة الـرمال وفطـر جسـدي سعيـر الـسـموم الذي أهرب مـنـه إلى نخلة أو شجرة أثل أستظل بهما.

إن ظمئت انـتهلت النبـع المنـهمر فـي وسط صـفـاة ذات أخـاديد إن هـجسـت بلـهـو أتـرك نـاظري يـلـهو فـي الأفق الذي لا يحده شيء سوى السراب.

تسللت إلى النسيمات الباردة التي أخذت تجاهد لـتطفئ سمـومـاً ألهبت جسـدي.. انطلقت نحوي عـيـون حـاولت خلـخلـتـي وامـتـدت أيـاد لـتـقـدم لـي بـاقـات ورد فاستشعرت أنها سبيل لترويض جواد جانح بداخلي:

لـم أختـر مـكـانـاً أقـتـعـده سوى جذع نـخلـة هـرمـة

أحيطت بها أحجار وتربة انعزلت عن الماء، بحثت عن هدوء فلم أجد سوى مكان اكتظ بالإخضرار الذي حرك فيَّ إحساساً بالضعف.

الذي أدهشني أن أرى فتاة لو لم يغمرها البياض لأيقنت أنها فتاتي الصحراوية التي بسببها تخلى عني أهل ديرتي.

تقدمت نحوها فابتعدت وخاطبتني بلغة لم أفهمها.. لحقت بها فاختفت.. وغصت في شوارع المدينة التي يكتنفها الغموض والمزدحمة بخلق الله. وجوه بعينها بدا لي فيها أثر صحرائي.. اتجهت نحوها لآنس بها.. ألم يكن الغريب للغريب صديقاً.

لكن هذه الوجوه تجنبتني وخطت، فاقتفيتها إلى أن دخلت مكاناً مميزاً هممت دخوله ولم أفلح ولكن رأسي انفلت مني ودخل.

نظرت إليه فرأيته عائماً في فضاء الصالة إلى أن وجد لي مقعداً اقتعدته في الحال وتمكنت من رؤية

وتبيـان الحقيقة التي كنت أجهلها وذهلت ثانيـة إذ رأيت فتاتي البيضاء تجاورني:

- أنت؟!

- أولست صحراوية مثلكم.

- إنك.....

- هل أعماك، تغير لوني.

اقتربت نحوها فابتعدت.

- لِمَ؟

- حتى لا تتكرر القصة القديمة.

- ماذا يجري هنا؟

- انصت واصمت.

سألت هامساً:

- هؤلاء الغرباء ماذا يفعلون!

- نحن الغرباء.. أما هم فإنهم يصنعوننا.

- قرون ولم نصنع أنفسنا؟!

- أوقف أسئلتك.

وصمت.

يحيى باجنيد

من مواليد (1949) (السعودية)
أصدر مجموعتين قصصيتين:
راجل نكد، وراجل ونص.

البـــازان

■ **«مذبحة الأتاريك»!**

عصر عم ناجي (بائع النفافيخ) رأسه بين يديه.. وكأنه يحاول الإمساك بشتات فكره وشروده العميق منذ رحيل زهرة البغدادية التي ذهبت ولن تمر به كعادتها وتأخذ نفيخة (بلاش)!

تطايرت النفافيخ الملونة تسرح وتمرح حرة طليقة.. تلامس الأبواب والأعتاب.. والنوافذ والمرازيب.. تتابعها كل العيون الصغيرة إلا عيون

(نـاجيّـه) الـتي انـطفأت أمـس كـما (إتـريك) الـبلدية الذي لـفظت فتـيلته أنـفاسها.. وتـركت السَّجم مهبباً على العامود الخشبي المايل كحال البغدادية اليوم.

على كل حال لم تعد البلدية تسرج كل الأتاريك في الأزقـة الخلفـيـة الـتـي لا يمـر بـهـا شـيـخ الحـارة ولا نـقيبها.. وخاصة ذلك الزقاق الذي اشتكت أتاريكه الهجاج من (أبو حلاوة) ونبِّيلته الشهيرة التي أرخت لما يعرف بـ (مذبحة الأتاريك)!

ركـن (خَلَف) سمسـميـتـه.. أعطـاها إجازة وراح يلسع بأعقاب سيجارته قاعدة الشباك ويضع عليها بصمـات سودا ء ويتلمس آثار الكـي بأصابعه الـتي غدت مثل الصنفرة!

وعلى غير عادته (الشهيرة) لم يعد يهتم بمن يمر بـهـذا الشُّباك ولا بمن راح وجاء.. واختـلطت فـروقات التوقيت بين دوام الموظفين.. وحركة الباعة.. وهرجات العصرية.. ولُبَّه الضحى!

ولـم يـضـحـك.. لـم يـظـهـر سنـه الأوحد وهـو يـرى

مصلح دوافير القاز يتعثر ويسقط بصندوقه ويتعفر بكومة (النورة) ويتحول إلى تمثال أبيض غير أن التماثيل لا تكح ولا تعطس!

قفل خلف درفة الشباك.. وانهمك في هرش ساقيه التي هراها الناموس..

لم يستطع (خلف) ولا غير (خلف) بما فيهم بخاخ البلدية أن يقهر هذا المخلوق الصغير الذي يتغذى على دم الكبار والصغار.. لقد استوطن الحفرة الكبيرة التي أحالتها أمطار الشتاء إلى مستنقع ولم يكلف أحد نفسه بردمها.

- «نردم إيه.. ونخلّي إيه» ؟!

نسيت (صفية) أن تنصب له (الناموسية).. أو لعلها تعمدت ذلك لكي تتناوب عليه هي والناموس (ورديتين)..

طلّقها طلقتين.. وبقيت طلقة..

وفكّر في المؤخر الذي لا يكفي ثمن هذه الغرفة وروشانها وكل القدور والصحون لدفعه.!

طرد الفكرة بصفعة على أذنه وكأنها ناموسة تريد أن تمص ما بقي عنده من دم تعرف كل الحارة بأنه خفيف.. وعسل.. وقطُر وطحينة..!

محمـــــود تـــــراوري

من مواليد (1967) (السعودية)
أصدر مجموعتين قصصيتين:
بيان الرواة في موت ديما (1993)
ريش الحمام (1997).

الطارق بليل

تمام الخامسة. نوم وحزن ووحشة. نهضت من السرير مفزوعاً، شارداً من حلم شديد الصلة بكوابيس قديمة ومعتادة. الطرقات القوية على الباب، شدتني من سريري وصبت في بدني خوف العالم.

نهوضي لم تعثره قدماي، كنت قادراً على الذهاب إلى الباب، لم أحتج لأي ضوء، أحلامي تقودني، تعلمت منذ زمن أن الأحلام أنوار للذهاب.

ظلام الشتاء العنيف لم يفلح في ثنيي عن

التقدم. والطرقات تزداد عنفاً.. أطرقت تساءلت دون أن أتكلم:

- لماذا لا يعمل الجرس؟

وازددت إمعاناً في المشي، رغم كثافة الظلام وامتلاء الوقت بالشتاء.

توقفت لثوانٍ وفكرت لو أني أشعل شمعة.. أرى الدرب. أتلمس سبيلاً للباب.

- (وَلْ.. هَادول شوية ويفزروا الباب).

كانوا شديدي الطرق.. وكنت شديد البطء. يطرقون بلغة لا أحبها.

- (طيب.. ليش ما يدقوا الجرس)

للأجراس لغة أقوى! الأصابع لا أحبها لغة. وهنا تنبهت إلى أنني لا أعلم إن كان لباب بيتي جرس، أو عليه أصابع تركها أطفال «وسخون» بلا ليل.

ظللت أفكر وأتساءل.. ترى من يكون هذا الطارق بليل؟ ثم أحقاً أن الوقت ليل؟ وأين أمي؟ هل

كانت تنام إلى جواري، أو كأني أدخلتها المستشفى أمس، وعدت وحيداً.

سخنت شيئاً من الخبز والتقمته مع شاي بارد، بعد أن كفت النار عن الحضور، وتكاثف الشتاء، ثم نمتُ وامتلأت كوابيس وجنوناً.

في طريقي عائداً من المستشفى لم أبصر أحداً أقذفه بابتسامتي وتحياتي. أثناء توقفي العابر عند احمرار الطريق، لا أرى أحداً يكترث بي وفي السوبر ماركت ابتعت سجائر وزجاجات من الماء المعلب، تحسباً لغدٍ بلا ماء.

ناولت المحاسب ورقة من فئة الخمسمائة ريال، فامتعض ونظر إليّ بذهول ممزوج بشيء من الامتعاض والاحتقار، وكاد أن يصرخ في وجهي:

- الله لا يوفقك.

لم أبال به وبتقرفه، وقررت التشاغل عنه بفرك عيني والاستغراق في تأمل كائنات لدنة لم يضايقها وجودي، استمررت أعبث بأنفي.

أثنـاء إيقافـي السيـارة كنت شـديد العـطش، فـاحتـسيـت مـاء وجـرعـت عـلبـة كوكـاكـولا. هـجسـت بإشعـال سيـجارة لـكنني استـحيـت مـن عـيون كثـيرة رصدتني، وسرت بخجل وكبرياء نحو بيتي. تقلصت مشـاعر اللا اكتراث والعيون الكثيرة تطال ما أحمل من مشتريات. عيون لم يتميز فضولها من حسدها. ولجت البيت شديد الإرهاق والحنين لسيجارة وكابوس وتليفون، فزوجتي ليست موجودة اليوم، عندما انغمست في البيت، هرعت للهاتف، فوجدته بلا حرارة، لم أبال.

لم أعثر على ولاعة أشعل بها سيجارة.. أيضاً لم أبال.

عندما ألقيت جسدي المنهك، انهالت الكوابيس وكان الطرق الشديد على الباب.

- يا الله.. ماذا يريدون؟

ظللت أفكر وأتساءل: يا ترى من يكون هذا الطارق بليل؟

من شقٍّ في الجدار المحشور فيه الباب لمحت.. نساء كثيرات ملفعات بعباءات خضر. يحملن في أيديهن أواني فضية تضيء ليل الشتاء.

بعضهن حملن وجوهاً عتيقة.. أعرفها.

توجست، وبدأت أفكر مشوشاً.

يضطرب التفكير في لحظات الرعب.. يغدو وجوهاً عتيقة.. نعرفها ونخافها.

أفكر في الكوابيس والاتصالات الغامضة.. أمي.. زوجتي.. المستشفى.. السحنات التي لا تثيرني.. المحاسب الذي كاد أن يشتمني.

حننت إلى رشفة ماء، ذهبت إلى الثلاجة، فوجدتها عامرة بفاكهة قديمة.. أخرجتها.. فاحت رائحة.. هرعت إلى السرير، واكتشفت أني بثيابٍ تشع بياضاً وقلبي حافل بالغناء.

راودتني الكوابيس.. قلت:

- هيت لك..

ومضيت.

مازلن يطرقن.

لازالت عباءاتهن تتدفق بالأخضر.

محمد علي قدس

من مواليد 1948 *(السعودية). أصدر خمس مجموعات قصصية، منها مواسم الشمس المقبلة (*1982*)، النزوع إلى وطن قديم (*1984*)، آخر ما جاء في خبر سالم (*1995*).*

الأنثى والمخاض

وقف كعود أراك أعوج.. يهتز لريح عاتية في عراء، المفاجأة تذهله، افتقد الحيلة وتاه في حيرة، إنها ليست المرة الأولى التي يقف فيها موقفاً كهذاً لكن نفسه المضطربة، وأفكاره المتصارعة في ذهنه، كل ذلك يغير الموقف من جذوره. أعاد سماعة الهاتف إلى مكانها، بعد أن أجرى الاتصال اللازم. كان مرتبكاً.. حانقاً.. على ملامحه سمات قلق ونفور، تمتم كأنه.. يتألم بضجر. نظرت إليه في حزن. بطنها

منتفخة، مسدت عليها براحتها.. ثم تكورت متألمة على فراشها. الحسرة تطحن قلبها بانكسار..

«واهاً من الرجال وقسوة قلوبهم».. همست بها قهراً، وازدردت كلماتها بنزف وإسقاط.

* * *

صرخت بالألم الموجع، تفجرت الصرخة من نصل ملتاث يمزق أحشاءها...

اهتز إطار مقود السيارة في يده.. فانحدرت به على جانب الطريق. رجوا في داخلها.. ورج ما بأحشائها فتألمت. صرخ بغضب «أهي المرة الأولى التي ينتفخ فيها بطنك يا امرأة، صراخك.. صراخ بوم يقشعر له بدني! كم أنت ضعيفة! خريك الدلال! لا تصبرين على شك دبوس.. ما أشقاني بالعيش معك!»

داهمها الألم.. اعتصرته في داخلها، كتمت أنفاسها.. فانبجست الدموع من عينيها. شدت شعرها بصبر نافد، صدر عنها أنين مكتوم لصرخة

موؤودة. انـتـفـخـت بـطـنـهـا أكـثـر وهـي تـغـالـب الألـم والمعانـاة، بدا وجهها شاحباً. تـتلألأ دموعـها بأضـواء السيـارات التـي يسـطـع ضـوؤها مـن الطـريق المعـاكـس. تـيـار هـواء بـارد ينـفـذ عـبر الـنـافـذتـين، سـافـرت مـعـه خصلات شعرها المتمردة، تعانقت بعضها ببعض على جبـهـتـهـا المـبـللـة بعـرقـهـا، سعـلـت وهي تـلـهـث في اضطراب.

«واهاً من الرجال وأنانية شهواتهم».

لم تكمل الجزء الأخير من عبارتها.. حتى اختنق حسها بالألم الذي داهمها.

* * *

تمددت على سرير أبيض.. تعفر ملاءته البيضاء بقدميـهـا. كأنـهـا تـصـارع الألـم وتـعـترك مـعـه.. بطـنـهـا المنـتـفـخـة تحـجـب عنـهـا الـرؤيـة.. تـهـتـز كـأنـهـا قـربـة «مـشـحـونـة»! حَبَلُها بـالـكـبـد الـذي تـعـانـي مـنـه أشـد إيلاماً وقسوة من حبلها بالجنين الذي يمزق أحشاءها.. كأنه يصارعها لكي يخرج إلى الدنيا بإصرار وعناد.

نصفها السفلي يتمزق بنصل حادة تشققه بلا رحمة، آلام مبرحة. صرخت بشدة زوجها خارج الغرفة لا يصل إليه صوتها..! تصرخ بحرية فهي لا تخشى نظراته القاسية التي يحدجها بها من حين لآخر. يد الممرضة الحنون تمرر فوق جبهتها وعنقها تمسح عرقها الذي يتفصد على جبهتها بمنديل ورقي. ابتسمت لها، سرعان ما انشق حلقها عن صرخة مدوية، أصيبت لهولها الممرضة بالاضطراب.

تقلصت عضلات وجهها بشكل شديد.. اعتصرت الألم في انصهار وفراغ صبر. الدنيا في عينيها تصغر.. ترى الأشياء من ثقب ضيق.. ترى من خلاله نعمة الحياة، تتبدد الأحلام.. وتتلاشى روعة الصور.. تصبح بدداً في صرخة موجعة. عوده السنف.. يهتز في الغدو والرواح. قضم أظافره بقهر.. أصابعه ترتجف عند حوافي أنفه. لو أدمن على التدخين لتبدت له أضراره في التو واللحظة. لكن الإدمان على قضم الأظافر عادة نفسية سيئة. أسند رأسه على جدار الردهة الرخامي! علق بصره في

الساعة المثبتة على الجدار المقابل. كانت عقاربها تزحف في بطء ورتابة. مسد على شاربه الخفيف وابتلع ريقه في ازدراء. مصمص شفتيه وهو مغمض العينين.. وغاب في حلم...

* * *

«ليت القادم يكون صبياً»

استغاثت.. تبدل وجهها.. بدا باهتاً تتناثر فوقه خصلات شعرها الثائر. انبجست الدموع من عينيها فانسالت أنهاراً على خديها وتعرجات عنقها. صدرها يعلو ويهبط كمهر حرون.. التصق ثوبها بجسدها وقد تبلل بالدموع والعرق. صرخت في وجع.. تفجرت الصرخة في أعماقها فتشبثت بملاءة السرير.

.. بكت في حرقة.. آلامها تزداد.. أخذت تطلب الرحمة في صوت ترتجف نبراته. نظرت إلى الطبيب في أسى. كان في شغل عنها. تبادل والممرضة النظرة تلو النظرة.. أطلقت الصرخة في ألم

ورددت «يـارب».. وبكـت. نـظـرت إلى شـقـيـقـتـهـا الواقفة قربها. وجدت الدموع في عـينيـها.. أمسكت يدها في خوف وتوسل:

- (أوصـيـك خـيـراً بـابـنـتـي.. إنـهـا أمـانـة فـي عـنقك.. كوني لهـا أماً حنوناً، واطلبي لي الرحمة.. يارب).

* * *

جلس على مقعد أبيض من الحديد رجل شرق آسيوي يرتدي زياً خاصاً.. احتل مقعداً من المقاعد المقابلة. غالبه النعاس فأسلم جفنيه للنوم وهو يعانق منفضته، رفع نظره عن المجلة القديمة التي كانت بين يديه.. تأمل الرجل للحظة ثم عاد لقراءته.. لم يقرأ حرفاً واحداً.. بل لم يجد في صورها ما يشده من غيابه. كان ذهنه طافحاً بهموم كثيرة. سكب البقية من الشاي الساخن في جوفه، فاغرورقت عيناه بالدموع.

* * *

دوت فـي الـداخـل.. صـرخـة طـفـل يـبـكـي بـلا انقطاع. كان يهتز في يد الطبيب، والدم يقطر منه. أما هي فكانت جثة هامدة مرتخية النبض والحركة، كأنـهـا شـاة ذبـحـت بـسـكـين، كل شـيء فـيـهـا فـاتـر، نبضها.. أنفاسها.. صدرها مازال يصعد ويهبط في ضخ مضطرب. شعرها المندوف يتناثر بشكل فوضوي فوق وجهها الباهت.. والوسادة التي تحتضن رأسها. زرقة قاتمة تلون شفتيها وما حول عينيها.. انتفضت أطرافها.. كأنها تستفيق للتو من نوبة صرع شديدة.

* * *

انتفض في مقعده.. نهض وأسند رأسه مهموماً على الحائط، عض شفتيه ندماً. نزلت كلمات الطبيب على قلبه نزول الصواعق. ألجمت لسانه المفاجأة. قضم أظافره بقهر. تحاشى النظر إلى عيني الطبيب.. كأنما هو يواري سوءة ما.

رفع نظره إليـه.. كأنه يستعطفه في أن يقول كلاماً غير الذي سمع. لكن الطبيب هز له رأسه

بالإيجاب.. المولود أنثى، داهمته موجة حقد عارم انتفض له.. نزع عن رأسه «شماغه» وعقاله.. وانطلق يتعثر في خطاه.

جمــــال
فـــايــــز

من مواليد 1964 (قطر) أصدر مجموعتين قصصيتين: سارة والجراد (1991)، الرقص على حافة الجرح (1997).

وما تبقى من شظايا المحار

- 1 -

ومازلت كلما ذهبت إلى شاطئ المدينة أراه، كأنما لا يبرح مكانه، بقايا إنسان، يستر جسده وزاره الأصفر، و«فانلته» البالية، وينهم بموال يكاد لا يتوقف، يصلني رخيماً نحاسياً شجياً يغريك سماعه، ويزعجك إن طغت عليه الآلات الرافعة التي جيء بها من خارج المدينة، ترفع حجارة نصف طن من على الشاحنات، تضعها على شاطئ المدينة متراصة

وبعضها فوق بعض، فتحجب البحر، وتجثم على رماله الناعمة الذهبية، وما تبقى من شظايا محار.

- 2 -

عرضت عليه ذات مساء رغبتي في مساعدته بما يشاء، وخزني بنظراته الحادة قبل أن يتركني ويتجه إلى سفينته، تتبعته بنظراتي وهو يدخل في جوفها. سمعت بعدها حشرجة موال يتخلله صدى طرقه على جدار سفينته.

- 3 -

بعد الانتهاء من تجميل المدينة، جاءت شاحنات أكبر، وبدأت الرافعات برفع السفن الخشبية الموجودة على طول الساحل، وأخذها لمكان بعيد في اتجاه الغرب.

- 4 -

ذات مساء رطب رأيته أول مرة يمشي إلى داخل البحر، بينما سفينته مكبلة بالحديد، معلقة في الهواء تضعها الرافعة على إحدى الشاحنات، وكنت أسمعه،

بالرغم من سيره متوغلاً في داخل البحر، بالرغم من أصوات ماكينات الرافعات، وزمجرة السلاسل الحديدية، وأنات صفير الهواء الخارج من تجاويف السفينة، وهدير البحر، وطيور النورس، ظللت أسمع مواله، يصلني هذه المرة محتضراً بالكاد يسمع.

التفت ناحية الغرب حيث تُسير الشاحنات بعضها وراء بعض، تصغر، تختفي في قرص الشمس الأحمر القاني، وطائرة مدنية تمر من فوق رأسي، تنفث دخاناً أسود، يتلوى مثل الثعبان، تتجه إلى مطار المدينة، تلج في الغيم، تختفي لثوان قبل أن تظهر ثانية، مضت سنوات والسماء حبلى بالغيم لكن لم يسقط مطر، نصلي صلاة الاستسقاء ولا يسقط مطر.

نظرت ثانية إليه، عدت لا أرى منه إلا رأسه، يلعقه موج البحر، ويبتلعه اليمّ.

لميـــــاء باعشــــن

(السعودية) نشرت قصصها في الصحف، وترجم بعض منها.

الفــخ

رفعت إليه عينين حائرتين تتأمل وجهه الذي تجمدت ملامحه علها تجد جواباً للركام الهائل من الأسئلة التي تزاحمت في صدرها. يجلس بجانبها على الأريكة، قريباً جداً، ولكنها لا تستطيع الوصول إليه ولا التواصل معه. بجانبها ويفصلهما جدار هلامي جبار، هو في عالمه الخاص، في حصنه المنيع، وهي في الخارج ممنوعة من الدخول إليه. بجانبها ويخيل إليها أنها لو مدت يدها لتلمسه لما استطاعت

أن تخترق هذا الحائط المستتر الذي يقف بينهما صامداً لا يغلب. كعادته في كل الأمسيات السابقة يغرز عينيه في شاشة التلفزيون حتى يداعبهما النعاس ثم ينهض وهو يغمغم: «تصبحين على خير»، ثم يسابق خطواته إلى غرفة النوم ويختفي داخلها قبل أن يسمع ردها الباهت: «وأنت من أهله».

هذا المساء جلست ترتعش تحت ثلوج الشك والقلق وعيناها تدوران في فلك وجهه الجامد الملامح وكأنها تجتهد في فك رموز معضلة عويصة. يمسك بالرموت كنترول ويتنقل بين المحطات بسرعة، يضغط ويضغط وتكاد أعصابها تنفجر. تمنت لو خطفت منه الجهاز الملعون وقذفت به بعيداً حتى لا ينافسها في الاستحواذ على انتباهه. نظرت إليه بعمق وهو يتابع مسرحية كوميدية تكررت مرات عديدة، يدعي المتابعة ليجد مبرراً لانصرافه عنها، ينصرف إلى كوميديا مكررة لم تعد تثير لديه رغبة حتى في التبسم، ينصرف عنها وهي تحاول جاهدة أن تفهم سر هذا الوجوم الذي زحف إلى حياتهما المشتركة، ينصرف

إلى الكوميديا وكأنه يهرب من غم تراجيدي تمثله هي بقلقها وحزنها ومخاوفها.

ترقبه وهو بجانبها بعيد وفي نفسها رغبة ملحة في تمزيق أغلفة الصمت التي تقصيه عنها. كيف تحول هكذا إلى شخص صامت مقطب الحاجبين تعلو وجهه سمات الملل، إيماءاته مقتضبة وابتساماته باهتة. عندما تقدم لخطبتها زكاه والدها بشدة بعد لقائهما الأول ووصفه لها بأنه شاب مثقف ولبق ومجامل ومتحدث بارع، فأين ذهب ذلك الشخص ليحل محله هذا الغريب الصامت ؟ في فترة الخطوبة كان شخصاً رائعاً يحب النقاش ويرحب بتبادل الأفكار. عندما تحرك قلبه نحوها زارها ذات مساء وقال: «أريدك أن تعرفي أنني أحبك». هكذا ببساطة ووضوح. لماذا عندما أحبها صارحها بمشاعره وأبرم معها اتفاقاً على توجيه تلك المشاعر وتأكد من أنها تفهمه بوضوح وتوافقه في رغباته، لكنه حين نضب معين حبه لها، فإنه يخفي مشاعره عنها ويترك الأمر لغزاً محيراً ويكتفي بإيحاءات طفيفة آملاً أن تكون لبيبة فتفهم

ما يصعب عليه التعبير عنه وتريحه من مشقة التفسير.

بدأت فترة الصمت بينهما منذ شهور قلائل، ثم أخذت تتزايد حتى تقطعت محادثاتهما لتفي بأغراض الحياة الضرورية: أين الجورب ؟ لا تنتظريني على الغداء. سأرسل المهندس لإصلاح المكيف. لدينا ضيوف على العشاء... جمل مقتضبة تقتضيها المشاركة في المسكن والمأكل والملبس، أما المشاركة في التفكير، في الوجدان، في العواطف وفي الهموم فذاك عهد قد مضى. في البداية ظننت أنها مسألة مزاج متعكر بعض الشيء وستزول بزوال الأسباب. ثم راحت تختلق المشاكل داخل المنزل في محاولة لاستقطابه للمشاركة في حلها، في محاولة لاستدراجه للحديث ولكنه لم يتجاوب وظل بارداً وكأنه لا يستمع لما تقول وأقصى ما يبدر منه إيماءة صغيرة تعبر عن الرفض أو القبول. بعدها فكرت بأنه قد يكون في حاجة لأن يخلو بنفسه قليلاً فأعطته مزيداً من المساحة الحرة ليتنفس، وظلت تعطيه المزيد حتى لم يبق بينهما سوى المساحات الشاسعة.

هاجمتها فكرة هزت كيانها وجعلتها تشعر أن العلاقة.. التي تربط بينهما في خطر وأن نسيجها يتمزق. ظهر شبح الأخرى مارداً احتل كل حيز في تفكيرها وراح يهدد باغتيال المودة والرحمة بينهما بخنجر الشك وعدم الثقة. دارت حول نفسها مبلبلة الذهن مشوشة التفكير فاقدة الأمان، كل كلمة لم ينطقها صرخت في وجهها بأن تبتعد. وهي إذ خدشت كرامتها فإنها ألجمت ما خامرها من شكوك بمزيد من الصمت وبدأت تنظر إليه بريبة وتتعامل معه بحذر. أحست أنها تعيش أتعس أيام عمرها، تصارع أمواج خضم عظيم وهي جافة ومتعبة ووحيدة.

هذا المساء قررت أن تكسر حاجز الصمت، أن تعرف رأسها من قدميها، أن تطلب التفسير وتطالب بإزاحة ستائر الغموض الذي يتكاثف يوماً بعد يوم. الكوميديا المكررة قد شارفت على الانتهاء: الآن إذاً ستقذف بسؤالها في وجهه المتجمد، الآن قبل أن يداعب عينيه النعاس، الآن قبل أن يغمغم «تصبحين

علـى خيـر»، الآن قبـل أن يسـابق خطواتـه إلـى غـرفـة النوم، الآن قبل..

- «لماذا تغيرت هكذا؟»

توقفت قدماه عند الباب الموارب وأطرق برأسه دون جواب.

- «لماذا لا تطلعني على ما يجري في داخلك؟» قالت وقد لمست في توقفه.. رغبة في سماعها، «لماذا لا تشركني في أفكارك؟»

انتظرت قليلاً ثم أوشكت أن تتابع سيل أسئلتها لولا أنه استدار فجأة واتجه نحوها. استند بيديه على طرف الأريكة التي كان يجلس عليها بجوارها وانحنى قليلاً وهو ينظر إليها بعينين مجهدتين قائلاً: «لن تفهمي».

- «لماذا؟» قالت محتدة: «ألأنني امرأة تستخف عقلي؟»

- «أنا أيضاً عاجز عن فهمك. رجل أو امرأة لا

فرق. هنالك حواجز غير مرئية تفصل بين ضمائر البشر».

وأحست أنها تائهة في مجاهل أفريقية كثيفة وأن الغمام يلف كل ما حولها. فكرت في سؤال مركز يحدد اتجاه حديثهما بعيداً عن تجريد كلماته:

- «هل هنالك امرأة أخرى؟»

نفخ من فتحتي أنفه مستهزأً بسخف احتمالاتها:

- «إيه، أين أنا وأين أنت!»

- «ما الأمر إذاً؟ أريد أن أعرف ما الذي يدور بخلدك؟ بماذا تفكر وحدك هكذا؟»

دار حول الأريكة وجلس بجانبها مرة أخرى وبدا مرهقاً:

- «صدقيني أنا أمر بأزمة وليس لي منها خروج».

تبسمت وقد انزاح عن كتفيها عبء ثقيل:

- «هو دين إذاً. لا تقلق البتة، المال متوفر بكثرة

ولدي من المجوهرات ما يكفي ويزيد، كم تريد؟»

ولكنها لم تر عليه بادرة لارتياح وهزها صوته يردد بائساً:

- «ألم أقل لك لن تفهميني؟»

وأسرعت بالقول لما رأته يتململ في جلسته:

- «حسناً. وضح لي أكثر، أهي أزمة نفسية أم عاطفية أم ماذا؟»

- «هي أزمة عقلية، وقبل أن تستنتج استنتاجاً خاطئاً فأنا لا أعني أنني مجنون»، وصمت قليلاً ثم أردف:

- «أو ربما أكون. المسألة شائكة وأنا أحاول أن أعرف أين أنا من هذه المتاهة التي تداخلت دروبها وأنا عنها غافل».

سكتت ولم تعلق. حتى في دخيلة نفسها لم تقل شيئاً خوفاً من أن تعترف بأنها حقاً لا تفهمه، وقرأ هو في صمتها دعوة لمتابعة حديثه فاستمر قائلاً:

- «لقد جمدني جليد السأم والرتابة وأحس أنني أختنق كلما بدا لي مدى ارتباطي بوضعي في هذا البيت حالياً ومستقبلياً. أنا مقيد في هذه العلاقة وأجدني كحمار الساقية أدور في دائرتكم أنت والأطفال، عملي من أجل عيشكم ووقتي كله أقضيه في الاهتمام بكم وسد احتياجاتكم. لم يصبح من حقي أن أحلم أو أغامر أو أحيد عن الخطة المرسومة لحياتي. فقدت اختياراتي كلها وضاعت (أنا) في (أنتم) إلى حد جعلني غير قادر على التعرف على نفسي. من أنا؟ من أنا؟»

وأسرعت بالرد الشافي:

- «أنت رب هذه العائلة والمسؤول الأول عنها».

ابتسم ابتسامته الباهتة وقال:

- «هذا دوري يا عزيزتي وليس أنا. والدور يملي شروطه وعلي التنفيذ، علي الالتزام والتسليم. أنا لم أحلم قط بأن يمتلكني أحد».

قالت والألم يرن في صوتها:

- «ولكن لا أحد يمتلكك هنا، فهذه شركة دخلتها أنت بمحض إرادتك، دخلتها باختيارك ولم يجبرك أحد».

قال بمرارة:

- «وتلك أسوأ أنواع العبودية: أن تقع فريسة اختياراتك الحرة».

قالت واليأس يحتويها:

- «ألهذا الحد أصبحنا عبئاً عليك؟ ألهذا الحد بت تكرهنا؟»

وهز رأسه يميناً ويساراً ثم رد قائلاً:

- «الحب والكره نقاط جانبيه لا تأثير لهما. أنا في مصيدة، وسواء كرهتكم أو أحببتكم فلن تغير عواطفي نحوكم شيئاً في كونكم سجاني».

وانتفضت واقفة وقد أخذ منها الغضب كل مأخذ. كيف تبقى في مكانها ساكنة وهو يكيل لها الإهانات بهذا الشكل الواضح الذي لا يقبل الجدل؟

كفى بالله عليك، لا تريد أن تسمع منه أكثر. أرادت أن تسرع هي إلى غرفة النوم وتختفي بداخلها هرباً من مواجهة ستودي بها. وما إن حركت قدميها حتى امتدت يده تقبض بشدة على معصمها وتستوقفها، ثم رأته يرفع رأسه نحوها وينظر بعمق داخل عينيها ويقول:

- «قبل أن تذهبي أريد منك أن تفكري ملياً فيما سأسألك إياه. لماذا تزوجت؟»

وما أن حركت شفتيها بقولها: «تزوجك لأن..» حتى قاطعها بقوله:

- «لا تتسرعي بالرد ولاحظي أنني لم أسألك لماذا تزوجتني، بل لماذا تزوجت. حاولي أن تفكري بموضوعية واعتبريني متغيراً في هذه المعادلة. عودي بذاكرتك إلى تلك الفتاة ذات التاسعة عشر التي تقدم شخص ما لخطبتها وقالت نعم، موافقة. يومها لم أكن أنا من تعرفين اليوم، كنت مجرد خاطب. اسألي نفسك ما الذي دفعك للموافقة

على طلب الزواج ذلك؟ فكري جيداً ثم ناقشيني عندما تكونين مستعدة، فكري لماذا تزوجت»؟

برمت يدها وهي تغالب دموعها فحررتها من قبضته وانطلقت إلى غرفة النوم وصفقت الباب وراءها. ماذا يقول؟ بماذا يهذي هذا المجنون؟ يا ليتها تركته في حاله علها جنت ذهب سكوته. أما الآن وقد نطق بما أساء إليها فمصيرها المحتوم ينتظرها، سيهجرها لا محالة، سيحرمها البيت والأطفال ويهدم سعادتها التي استثمرت فيها أجمل سنوات عمرها. ارتمت على السرير وأخفت وجهها في الوسادة وهي تشهق بالبكاء. مطلقة في الثلاثين من عمرها ولها أربعة أطفال محرومين من رعايتها وحنانها. ماذا تفعل؟ أتندب حظها العاثر أم تنتصر لكرامتها المهدرة؟ لم تتصور في يوم من الأيام أن تفشل هذا الفشل الذريع في أمر بذلت كل ما بوسعها من أجل إنجاحه. أين تراها أخطأت، أين؟

رفعت رأسها من فوق الوسادة المبللة بالدموع

واعتدلت في جلستها ثم لفت ذراعها حول رأسها الذي يكاد أن ينفجر وهي تحاول أن تعيد تركيب جمله الغريبة لتكون فكرة واضحة عما كان يهلوس به. ماذا قال لها تماماً؟ مصائد وسجان، عبودية واختيارات، سواقي ودوائر، التزامات خانقة و(أنا) مفقودة. ما معنى كل ذلك؟ لم تفهم شيئاً وكرهت أن تعترف بصدق حدسه، ولكنها لم تفهم بالفعل. كل ما أرادت هو بعض الوضوح، فإذا به يصب الغاز فوق النار ويزيدها اشتعالاً وإذا بها أمام المزيد من الغموض والرموز والطلاسم.

ويريدها أن تفكر في سبب زواجها، أي إجابة يا ترى ينتظر منها؟ وإلى ماذا يظنها ستتوصل بتفكيرها؟ هل ستفاجئه بنظرية جديدة لبدء الكون؟ أنسبية أم ذرة سيفجرها سؤاله بداخلها؟ لماذا يعذبها هكذا؟ لماذا هذا النبش غير المجدي في ماض ذهب إلى حاله؟ ماذا يعني لماذا تزوجت؟ تزوجت والسلام. لم لا يبحثان عن حل للمشكلة القائمة بينهما الآن بدلاً من محاولة تذكر أسباب تمت وانتهت؟ لقد بت في هذا الأمر وكان.!؟

لماذا تزوجت؟ ماذا يمكن أن يكون السبب؟ تزوجت مثلها مثل بقية خلق الله، فهي لا تختلف عن غيرها من الفتيات. جميع زميلاتها في الجامعة لوحن في وجهها بالحلقات اللامعة في بناصرهن، وهي لم تبتدع أمراً نكرة، بل كانت آخر من تمت خطبتهن من شلتها. مثلها مثل بقية الفتيات تزوجت، ماذا غير ذلك؟ بماذا يمكن أن تحلم وماذا يمكن لها أن تريد غير ذلك؟.. حسناً، لعلها كانت طموحة ورغبت في إكمال دراستها، حينها ستتزوج وتدرس. ولعلها طمحت أكثر فأرادت العمل، وقتها ستتزوج وتعمل. الزواج لم يكن ليتعارض مع أحلامها لو أنها وجدت. ولكن الزواج يبقى هو الأساس، هو الأمر الذي يتصدر قائمة طموحاتها. لم تطمح في يوم من الأيام لأكثر أو أقل من أن يكون لها زوج وبيت وأطفال.!

لماذا تزوجت؟ هل هذا هو الرد الذي ينتظره؟ أرادت لنفسها زوجاً وبيتاً وأطفالاً. أليس هذا كافياً ومقنعاً؟ أرادت هذا الوضع بشدة ولم تتساءل عن تعقيداته وتطوراته. أرادته ولم يخطر ببالها تفاصيله

اليومية. بدون التحقيق في الجزئيات الدقيقة التي تدخل ضمن فكرة الزواج ارتضته وكأنها اشترت كتاباً أعجبها عنوانه. ستقرأ حروفه حين تزيح الغلاف، وستدرك معاني صفحاته حين تقلبها صفحة صفحة، يوماً بيوم. لم تستبق أحداث حياتها الزوجية، لم تتوقع، لم تتوجس. قبلت الأمر برمته ملخصاً في كلمات ثلاث: الزوج والبيت والأطفال.

نهضت إلى تسريحتها ونظرت إلى المرآة بتمعن. «عودي بذاكرتك إلى تلك الفتاة ذات التاسعة عشر التي تقدم شخص ما لخطبتها وقالت نعم، موافقة». تحدق في المرآة بتمعن تحاول أن تربط ملامحها الحالية بذلك الوجه الغض ذي التسعة عشر. أين هي من تلك الفتاة الحالمة الساهمة؟ وكيف لم تفتقدها طوال هذه السنين؟ من تكون هذه المرأة الثلاثينية التي تطالعها باستغراب؟ بالطبع تعرف من تكون، فهي ربة هذا البيت وزوجة عائلة وأم أطفال ذلك العائل. أين اختفت تلك الفتاة الناعمة الغريرة؟ تعود بذاكرتها إلى الوراء وتعجز عن استعادتها. زوجة وربة بيت

وأم، أين هي في كل هذه الأدوار؟ أدوارها تستنزفها وتحتل دقائقها وثوانيها فلا تترك لها مساحة حرة تتنفس فيها: تطبخ وتنظف وتربي وتقلق وتهيئ الجو المناسب لهذا وذاك، سعادتها من سعادتهم وراحتها هي راحتهم. أين هي من كل هذا؟ أجزاؤها قد تناثرت في كل ناحية، فجزء كبير منها في زوجها، وجزء في رولا وجزء في خالد وجزء في أحمد وجزء في إيمان وجزء في المقاعد وجزء في الأواني وجزء في السجاجيد.. أجزاؤها اندمجت في مكونات الأمور الثلاثة، الزوج والبيت والأطفال، تمازجت وما عاد في الإمكان إعادة تجميعها الآن. وماذا لو أنه عزف عنها وطلقها؟ ماذا لو سلب منها أدوارها، المكونات التي احتوت أجزاءها؟ من ستكون آنذاك؟

فجأة، وإذ هي تنظر إلى المرآة بتمعن، شهقت حواسها كلها لهول ما أدركت، هكذا دفعة واحدة كما لو سطع نور الظهيرة في ظلمة منتصف الليل الحالكة بدون تدرج، راعها الواقع المرير، هكذا كرؤيا تجلت لناظريها دون مقدمات، صعقتها الحقيقة المريعة. لم

تطمح إلا لزوج وبيت وأطفال، فكيف تفاقمت الأمور وتداخلت واستشرت بهذا الشكل الفظيع؟ أحلامها لم تتجاوز كلمات ثلاثاً ولكن الكلمات تجاوزت أحلامها وخرجت عن نطاقها المحدود. كلمات ثلاث تضخمت كبذرة صغيرة نبتت وصارت شجرة كبيرة لها جذوع وفروع، لها أغصان وأوراق وزهر وثمر وجذور وبذور أخرى كثيرة كثيرة. كلمات ثلاث تمردت على قوالبها فامتدت أطرافها في كل اتجاه: عساليج من قضبان وشعباً من أصول تمردت وتمددت وتخطت حدود الضبط حتى ابتلعتها وامتصت من عروقها رحيق الحياة.

فتحت باب غرفة النوم شاردة الخاطر مكروبة، مبتئسة. اتجهت نحوه مبهورة الأنفاس مذهولة كمن أفلت زمام الأمر من يده، فقرأ في وجهها الاضطراب وأفسح لها مكاناً بجانبه على الأريكة ذاتها فجلست كالمنهارة تبحلق في دوائر فارغة. سكتت وسكت فكان لصمتها أبلغ المعاني، كان فيه تأكيداً لمشاركة عميقة المدى، فيه تثبيت وتصديق وتأييد. بعد فترة همس هو سائلاً:

- «هل عرفت لماذا؟»
- «نعم»، أجابت بدون حماس ثم سألت:
- «لماذا تزوجت أنت؟»
- «لنفس السبب، تعلموا فتعلمنا، اشتركوا في النادي الرياضي فاشتركنا، سافروا لأوروبا في الصيف فسافرنا، دخنوا المعسل في المقاهي فدخنا، زرعوا الكورنيش جيئة وذهاباً فزرعنا، تخرجوا في الجامعة فتخرجنا، تزوجوا فتزوجنا. هذا كل ما في الأمر: كما فعلوا فعلنا».
- «ولكن»، تابعت تساؤلاتها، «ما الذي حرك هذه الأفكار في رأسك؟»
- «رولا، يوم اشتريت لها فستان العيد الأصفر وكنت مولعة به وكرهته هي. قالت لا يعجبني الفستان ولن أرتديه حتى لو اشتريته، ولم تفعل».
- «وماذا في ذلك؟» سألته بشغف.
- «يومها أدركت فجأة أن رولا إنسانة منفصلة

بذاتها وليست ببساطة طفلتي، ليست دميتي، ليست مجرد قطعة أكملت الجزء الناقص من الصورة التي رسمناها ونحن نسير على خطى غيرنا: أنجبوا فأجنبنا. رولا إنسانة ولها إرادة، تريد ولا تريد. لحظتها اتضح لي عمق ورطتي، رأيت أني مقيد في علاقة لا فكاك لي منها، ووجدتني في وسط بحر غزير ولا أرى أثراً للشاطيء».

سكتت قليلاً ثم قالت بهدوء:

- «أليس في الطلاق مخرجاً؟»

ابتسم ابتسامته الباهتة وقال:

- «ليت الأمر كان بهذه البساطة. الطلاق قد يخرجنا من هذه الورطة ولكنه لن يقودنا للبداية من جديد. يبدو لي أن كل المخارج تؤدي إلى مآزق أخرى، وكل اختيار حر يجر إلى ارتباط من نوع آخر، وكل حل يرافقه حاشية من المشاكل. الاختيار دائماً يقتل حرية الاختيار».

همست والضيق يطبق على صدرها:

«يا لها من ورطة! لن يمكننا التراجع أبداً وليس أمامنا إذاً سوى الاستمرار في التقدم إلى الأمام سواء رضينا أم أبينا».

واستطرد هو قائلاً: «معضلة البدايات أنها لا تتكرر، خطوة واحدة إلى الأمام تلغي كل إمكانية للعودة.. إلى مرحلة البداية بنفس طلاقتها ورونق جدتها السابقة. البداية تتلاشى لحظة اتخاذ القرار، وبعده تتتابع المتواليات».

في جنح الليل جلسا على الأريكة بلا حراك والصمت قد جمعهما. جنباً إلى جنب، متلامسين: لا عاد حصنه منيعاً ولا عادت هي خارجه. في الصباح تحركت الخادمة الأندونيسية إلى غرف الأطفال توقظهم استعداداً للذهاب إلى المدرسة، وهما في مكانهما وكأنهما تصنما على ذات الأريكة. صوت الأطفال تناهى إلى مسامعهما وهم يتململون ويتعاركون ويتضاحكون: أطفال هم بشر، هم أناس لهم تدابير، لهم إرادة، لهم اختيارات حرة.

بعـد قلـيـل خرج الأطـفـال إلـى حيث يـجلسان متحجرين وانطلقوا نحوهما فرحين وألقوا بأنفسهم في أحضانهـما بدلال ومداعبة، ثم نـهض أربعتهم، رولا وخالـد وأحمد وإيمـان، وراحوا يطـلبـون من والديـهـم مشاركتهم طعام الإفطار. الأكف الصغيرة تقبض على المعـاصم وتجر صاحبيـهـا؛ تحثهـما عـلى الـنهـوض والـتـحـرك. تحرك الـزوج والـزوجـة، الأب والأم، رب البـيـت وربـتـه، انـقـادا خلـف الأطـفـال الأربعـة، سارا منصاعين في المسيرة المتشعبة. وفي طريقـهـما إلى غـرفـة الـطـعـام تبـادلا نظـرات يـائسة، نظـرات الغرق المحتوم، وتقدما إلى الأمام وهما يستنشقان رائحة الجسور المحترقة، وفي داخلهـما تـتـردد نغـمـة رثـاء حزينة تنعي البدايات.!

«النهاية»

سعود الجراد

(السعودية). صدر له بورتريه السيد مطيع (2000).

أحـلام مائية

في عزلته الاختيارية، وفي الهزيع الأخير من الليل، يحلق طويلاً، يسافر بعيداً إلى مدن لم يعرفها من قبل، يسمع موسيقى، يغني، يقرأ، يكتب، وأحياناً يبكي. وفي الغد قد يروي بعضاً من أحلام يقظته وأمنياته المائية لطيور تجيد التحليق بعيداً. في ليال كثيرة، كان يحلم..

1 - الملياردير :

قال:

- أتمنى أن أكون مليارديراً.

قالت زوجته وهي تبتسم قليلاً:

- الحال مستورة يا وضاح.

قال وهو يحدق في النخيل البعيد:

- حتى أسدد ديون مصر العروبة، حتى تستغني عن المعونة الأمريكية.

2 - الراعي :

قال له، وكأنه يحدث نفسه:

- أحلم بأن أعيش مع بعض (الشويهات)، في سهول بكر، لم تدسها قدم بشر، وأسكن في كوخ أو خيمة، بالقرب من مغارة مالك بن الريب.

3 - الفلاح :

قالت له:

- ليس بمستغرب عليك.

وأضافت:

- عندئذ تكون مزارعاً بالوراثة.

قال:

- سـأحرث أرض الحـقـيـقـة بـالحب، وأغـرس بـرتـقـال الجسارة الأبـيض، ونشرب مـن مـا ء الصدق العذب، ونستظل بنخيل يموت واقفاً.

4 - طبيب جراح :

قالت:

- وماذا بعد؟

قال:

- حتى أستأصل (غرغرينا) النفاق والتحولات، وكل عضـو متـعفـن في الجسد. وكـل الأمراض التـي فـي الطريق.

5 - الرسام :

كان يقول لنفسه:

- حتى أستطيع أن أرسم شيلا ردمان، وهي ترقص كحورية على أنغام موسيقى شايكوفسكي، في بحيرة من القطن والثلج والبجع والخيبات.

6 - المعلم :

كان يحلم بأن يقول لطلابه العصافير:

- لا تصدقوا كل ما تسمعونه. لا تصدقوا كل ما ترونه في التلفاز. فالحرب بين (توم) و(جيري) مصنوعة من سراب، والفأر لا يمكن أن يهزم القط.

7 - الساحر :

قال لصديقه متعب:

- حتى أشاهد كل الذي يحاك خلف الأبواب والقلوب الموصدة.. وحتى أسهر مساء الأربعاء في القاهرة، وأعود في ذات الليلة أو اللحظة لأنام في حي المطار القديم بحائل.

يحـيى بن سـلام المـنـذري

من مواليد (1970) (عمان). أصدر مجموعته «نافذتان لذلك البحر» (1993).

صبـــاح

أليس هذا الصباح جميلاً..؟

إذن وبكل هدوء سوف أقوم من سريري وأقفز ثلاث قفزات في الغرفة لأن الصباح يبدو جميلاً.. أقف عند باب الغرفة أتطلع ناحية زوجتي التي مازالت نائمة.. على الفور أركض ناحيتها.. والصباح يدفعني لذلك وقد سقاني شراب الانتشاء، تقوم زوجتي ضاحكة بغنج وتضربني على يدي ضربات لينة مثل نسمة هواء باردة تلاطف خدي، أتركها لكي

أدخل الحمام.. أفتح الحنفية فأجد الماء يتدفق بغزارة لا توصف، وليس هكذا في بقية الصباحات الماضية، وهذا الصباح جميل يدفعني أن أضع أصبعي في فوهة الحنفية (فيطرطش) الماء بقوة ليستحيل المكان إلى مشهد ماطر ينهمر فوق رأسي وعلى وجهي ويصل حتى السقف.

تذكرت الآن صباحاً قديماً حينما نقر غراب زجاج نافذتي فسقط قلبي خائفاً لأني تذكرت طيور هيتشكوك، وفي حينها تذكرت القط الأسود الذي دهسته بسيارتي قبل يومين من ذلك الصباح القديم فساورني القلق وازدادت وساوسي حول الأيام القادمة ومدى ثقلها، فلماذا إذن ينقر الغراب زجاج نافذتي محاولاً تهشيمها؟ ولماذا القط الأسود ينفّذ عملية انتحاره بنجاح ويستخدمني أداة لموته؟ هل سأخسر أحلامي تدريجياً؟

ذلك صباح قديم

وصباح اليوم يبدو جميلاً.. ألا يبدو جميلاً حقاً؟

ها أنا أتهيأ للذهاب إلى العمل، وإذا فتحت الباب سأجد الصباح شخصياً يرحب بي وسوف يعرّفني على هدوئه غير المعتاد وسأسأله إن كان سيحتفظ بهدوئه هذا، فيجيبني «وكيف لي أن أعرف ذلك».

أخاف الآن أن أقوم من سريري ولا أقفز القفزات الثلاث، وبالطبع ليست لي زوجة أتطلع إليها وأركض ناحيتها، ولا أعتقد بأنني سوف أدخل مادام أن حنفيته جافة، لأجعل هذا اليوم مناسباً للنوم، غداً سأفكر جدياً بالذهاب للعمل.

محمد الغربي عمران

من مواليد 1960 *(اليمن). أصدر مجموعتين قصصيتين: الشراشف* (1995)، *المرأة أعزكم الله* (1998).

صنعاء

خرجتُ إلى الدنيا في يوم ماطر، لا أدري من سرق ذراعي اليمنى! لكنني عرفت بعد عمر، حين اكتشفت أني نسيتها هناك داخل بطن أمي! يومها كنت على ما يبدو مستعجلاً. وكانت بشرتي بالونية حتى رأسي، الجميع يسمونني «الأمزط» والبعض ينعتني «بالأشول» لعدم وجود ذراعي اليمنى، أما أبي فقد أنكر صلته بي! وكان يتهم أمي دوماً بـ« ... » ويطالبها بالتخلص مني، يتبرأ مني أمام سكان القرية.

في سن التاسعة ظهر على أسفل جسدي زغب أخضر لماع، فرحت أمي، وأصبح الجيران يتحدثون عن التحول الجديد، ثم أخذ الزغب الأخضر ينمو فوق رأسي، كنت فرحاً بالوضع الجديد، وبدأ أبي بالصمت، ولم يعد أحد ينفر مني، ثم أخذ الزغب ينتشر في أماكن أخرى من جسمي حتى غطى جسدي، وحين نمت آخر شعرة عند أطراف قدمي كان أبي قد حسم الأمر مع أمي وقذف بي خارج منزله. لم يودعني أحد، إلا كلب كان دوماً عند بيتنا.. شيعني وحيداً، كانت أشجار الطلح المتناثرة حول الطريق تتأملني في سكون، والشمس تفارقني لكي تعود من جديد، لا أدري كيف وجدت نفسي بعد أيام في شوارع صنعاء العتيقة، أينما أذهب يتبعني الأطفال وأيديهم تقذف الحصى، كنت أختفي خلف أسوار مقبرة عرفت فيما بعد أن لها اسم «خزيمة». في البدء رفضني المتسولون! كل جماعة تدلني على رصيف آخر، أو تقاطع مجاور، إلا أني استطعت أن أجد لي مكاناً عند تقاطع شارع الزبيري، مع «علي عبدالغني»، وشيئاً فشيئاً أصبحت معلماً من معالم المكان بعد أن

ألفـني صبيـان الصحف وباعـة المـاء، وعقـود الـفل والعجزة وجموع المعاقين.

طوال النهار وحتى الساعات الأولى من الليل أتنقل من رصيف إلى آخر، ومن عابر إلى سائق سيارة حين تقف، ثم يذهب الجميع إلى منازلهم، وأعود أنا خلف أسوار «خزيمة»، لم أكن الوحيد الذي أسكن «خزيمة»، فهناك أعداد كبيرة وفتاة تلبس ملابس سوداء مثل كل النساء.. ولكنها تخفي كل شيء حتى أصابع أيديها ولا يظهر منها شيء.. إلا صوتها الدقيق، تخرج من خلف الأسوار عند بزوغ الشمس، تتسول سائقي السيارات، تغير عبارتها حسب نوع السيارة وعمر السائق:

«ساعدني يا حاج، الله يحفظ لك أولادك ويزيد في أموالك».. وإن كان شاباً تغير صوتها:

«ساعدني.. الله يحفظ شبابك، ويزوجك من قلبك يحب». وإن كانت ملامح السائق يكسوها الهم، متوسلة:

«ساعدني.. الله ينصرك على أعدائك، ويزيل حسادك». تحفظ الكثير من الجمل.

كنت أراقبها وأتمنى أن أعرف لون بشرتها! وأعتقد أنها سوداء، وإلا لماذا تخفي لونها بكل هذه الأغطية الغامقة، كانت لهجتها الصنعائية مصطنعة، كنا ننتقل من رصيف إلى رصيف وسط طوابير السيارات، نتسابق في مد أيدينا، وقبل منتصف الليل نعود فرادى خلف الأسوار.

أراقبها وقد اتخذت مكاناً يتسع لجسدها بين قبرين بنيت حوافهما بالحجارة السوداء، مكان تنام فيه، وأنا على بعد سبعة عشر قبراً.

استفقت ذات ليلة بعد أن سمعت ما يشبه العواء. رفعت رأسي وسط البرد، أسرعت الخطى. خفق قلبي عندما أدركت أن رجلاً لم أتبين ملامحه يحاول تثبيتها على الأرض، وهي تقاوم، بدت أجسادهم في حجم العمالقة!! ما إن أحس بي حتى انسحب خارج الأسوار! وقلت لا أدري ما أقول، ثم عدت إلى مكاني. كان الليل في الربع الأخير.

نهضت نحوي بخطى مترددة، جلست على حافة القبر المجاور فوق رأسي في صمت، وأنا أراقبها من

خلف شعر وجهي، استمر الصمت بيننا حتى تعالت مآذن صنعاء بأذان الفجر. كانت جالسة، وأنا أراقبها حتى خلتها جماداً أسود لا يتحرك. غمر الكون وهج فضي يبشر بقدوم الشمس التي لم تفارقني منذ فارقت قريتنا، حينها خرج صوتها الدقيق.. هز أرجاء «المقبرة»: ما اسمك؟ وبعد تردد خرج صوتي المضطرب:

«الأمزط» كانوا يسمونني قبل أن ينبت لي شعر!! أو «الأشول»، كما هو اسمي اليوم.

صمتت كثيراً وكأنها تمنحني فرصة السؤال، حين سألتها وأنا أراقب من خلف شعر وجهي:

وأنت ما اسمك؟

«فنية». قالتها بصوت واهٍ، ثم أردفت:

ولكن لمَ كل هذا الشعر على وجهك وبقية جسمك؟ وجدت نفسي أرد عليها وكأنني أسمع هذا السؤال لأول مرة:

في البداية كنت «أملس» ولم يكن على بشرتي أي شعرة! ولكن الشعر نما فجأة حتى أصبحت كما

ترين. طال صمتها ، كنت سعيداً كونها مهتمة بي. تنهدت وقالت:

كاد ذلك الرجل أن..! لم تكمل عبارتها ووجدت نفسي أسألها:

هل تعرفينه؟

من؟ حارس المقبرة!!

شعرت برعب، فأنا أعرفه، وقد يطردني، ولكنها قطعت أفكاري وأخذت تسرد حكايتها:

هذه ليست أول محاولة منه، ومن غيره، فقد كنت يوماً وحيدة أبي وأمي حين قتل أبي وعمري ست سنوات، وبعد حين تزوجت أمي برجل طيب، كان يعمل بدفن الموتى، في مدينة «الحديدة» كنت معها دوماً ، وكان زوجها يعاملني كابنته، حتى بعد أن أصبح معه عدة أطفال من أمي، وكنت لا أعرف إلا أنه أبي.

كانت أمي مريضة بمرض لا أعرف سره، فقد كانت «...» كثيراً ما تزور مستشفى «العلفي»،

وفي إحدى الليالي عاد بدونها!! كان عمري قد تجاوز الثلاث عشرة سنة، استدعاني إلى غرفة أمي، وأعطاني ثوباً جديداً، حاول أن يلبسني إياه، حملني على صدره، كان مهموماً. أطفأ الضوء! وطوال الوقت كانت أصابعه. لازلت أتذكرها حتى الآن. وأشعر بها تلامس أماكن من جسدي. كان.. وكان..

لا أدري لمَ كل ذلك الدم يخرج مني؟

وفي اليوم الثاني عرفت أن أمي قد ماتت. بعدها بسنتين عرفت أن الرجل الذي يصلح أن يكون أباً قد يكون شيئاً آخر، كانت أنفاسه كريهة، ورائحة جسمه لا تطاق. وبعدها جاء شاب يعمل مدرساً في «حجة»، وطلب أن يتزوجني لكن أبي رفض. هددته بأن يقبل وإلا فإني سأهرب وأحدث الناس في الشوارع بكل شيء. رضخ لطلبي وهو يبكي.. وحقيقة الأمر لقد بكيت ليلة مغادرتي فقد اكتشفت أني أحبه.

سافرت وزوجي المدرس إلى بلاده لكنه طردني في الليلة الثانية لزفافي بعد أن اكتشف أمري، حملتني أمه وأخته ووضعتاني... فوق برميل... ولم

تشفع دموعي، حتى إنهن لم يسمحن لي بلبس ملابسي فقد اشترك زوجي وأمه وأوسعوني ضرباً، فقد قذفوا بي في عتمة الليل خارج المنزل...

ومن ليلتها لم يعد لي بيت، تنقلت حتى وجدت نفسي في هذا المكان. أعيش منذ سنة أتخفى كما ترى.

انتهت من حديثها وتشرنقت بالصمت، كنت أود مواساتها، أود أن أقول شيئاً ولم أعرف ماذا أقول، مرت دقائق، وحينها انفجرت باكية، ونثرت ما في حجرها من تراب، أخذت تهرول بين صفوف القبور وهي تعوي، نهضت أعدو خلفها لكنها اختفت وسط قبور «خزيمة» الواسعة. جلست أنتظر خيوط الشمس حتى أكتشفها، تمنيت أن أرى لون بشرتها:

قررت حين أجدها أن أسألها:

هل تقبلينني زوجاً لك يا «فنية»؟ وكلنا على باب الله، سأكرر. وأكرر.

هل ستقبلين؟

عبد الكـريم النـمـــلـة

(السـعـوديـة). صـدر لـه نـزوة (1991)، انعتاق من ذات مهملة (1995)، تجليات الطرق الخلفية (1999).

احتيـــاج

نعم، إنه هو، صفحة وجهه تشي بذلك، بل أنا متأكد جداً مما أرى، سأحكي لكم ما يؤكد حدسي، بل ما يؤكد حقيقة ما رأيت، هذا ثوبه الذي يرتديه وهذا شماغه الأحمر وهذه مشيته التي استنبطها من بين مائة مشية، اندفع جرياً وسط الزحام، تبعته بقدمي الحافيتين، فلم أكن مستعداً للسير وراءه، فجأة نبت من الأرض، دون أي ظن مني، أرى قامته المديدة تخترق الصفوف المكتظة، أجهد في محاولة للوصول إليه، وسؤاله ماذا جاء به ولماذا يأتي الآن، بل سأرحب

به حتماً فقد جاء في وقت أنا بحاجة إليه إن لم أقل لكم إني لو لم أره اليوم لكنت نسياً منسياً، أسرعت خطواته وكأنه تذكر شيئاً ما كان قد نسيه، زدت من تسارع خطواتي المضطربة القلقة، حاولت أن أمسك أعصابي فلا وقت للصراخ، لا وقت أيضاً للبكاء، المهم أن أصل إليه، سأروي له قصصاً وحكايات - نسيت أن أقول لكم إني لم أره منذ أكثر من ثلاثة وعشرين عاماً - أرفع رأسي باحثاً عنه فقد اختفى في غمرة حديثي، يجب أن أدع كل شيء جانباً وأخلص في البحث عنه، ها هو يقتعد كرسياً أمام أحد المحلات التجارية، سأصل إليه حتماً مادمت قد قررت ذلك، سأقول له أهم القصص، لن يكون لديه المزيد من الوقت لأنهكه بأتعابي وآلامي، سأقول له: انهض معي، سأريه ما كنت أرى وأسمعه ما كنت أسمع، هل قلت سأحكي له شيئاً، لا، لن أفعل، فلن أكون بمنأى عن عذاب نفسي إن هو غادر ثانية وتركني أقتات آلامي وآلامه معاً، لا، لن أفعل، ها قد وصلت إليه، أين هو؟ التفت يميناً ويساراً، لم أجده كيف اختفى وأين؟ لقد كان تحت مرمى بصري فكيف

استطاع الذوبان بهذه السرعة!؟ سألت صاحب المحل التجاري الذي كان يجلس أمامه، رفع صاحب المحل عينيه وابتسم مشيراً إلى الأمام، نظرت إلى الأمام لكني لم أجد أحداً، ثم لماذا ابتسامة صاحب المحل تحمل معنى غير الذي كنت أتوقعه، لا أعلم، ذهبت من عنده وأنا أتمتم بكلمات رجوت أن يسمع شيئاً منها، هالني أن أجد الزحام في هذا الشارع أكثر من السابق، أحسست بقطرات العرق تتفصد من أعلى جبيني، كنت مرتبك الأعصاب منهار القوى، يداي بدأتا ترتجفان وفي لحظة هي الأولى في حياتي نظرت إلى وجهه مباشرة، كان قد عكس اتجاه سيره فتقابلنا وجهاً لوجه، لكن شيئاً ما منعني من الارتماء في أحضانه وسرد حكايات وقصص مثيرة كنت أتجرعها أثناء غيابه، طفقت أجري لاهثاً كنت أود أن أفوز ببشارة كل من حولي، قلت سأذهب إلى الشيخ سالم أولاً، نعم إنه صديقه الذي أحبه منذ سنواتهما الأولى، وقفت بباب الشيخ سالم طرقته بقوة، وجدت الشيخ سالم متكئاً على حائط بيته المهترىء، قلت له: عاد.. نعم يا شيخ سالم، عاد أبي من غربته، عاد من سفره

القديم.. لم أدعه يقول شيئاً سمعته يتمتم بكلمات لم أعها وصدره يعلو ويهبط، تركته سادراً في فرحه وغبطته، وذهبت إلى عمي شقيقه، طرقت الباب بقوة، فتح ابنه الصغير، اندفعت بقوة جامحة إلى وسط البيت قبضت على كتفي عمي، قلت له بصوت مشروخ: عاد.. لقد عاد أبي، عاد.. تحركت عينا عمي بسرعة أضحكتني، قلت له: عاد وهو الآن في طريقه إلينا، تركته، وصوت فحيح حارق ينبعث من صدره ورائحته ابتعدت عنها نفثها فمه تركته واقفاً جامداً، وذهبت مسرعاً إلى أمي، هناك سأرتمي في حضنها سأسوقها إلى حيث رأيته، سأقول لها، لا تقولي لي شيئاً، رحبي به فقط، أدخليه إلى البيت محاطاً برعايتنا فلو لم يأت لنا في هذا اليوم لكان حالي غير هذه الحال فتحت باب بيتنا بسرعة، اندفعت أقول لها ما رأيت، لم تفهم شيئاً فقد كنت متلعثماً لاهثاً، بعد لحظات انطلق صوتي معلناً عودة أبي من غربته الطويلة، لكن أمي لم تبتهج أطرقت رأسها، رفعت بيدي أسفل وجهها.. وقبل أن أقول شيئاً كان العرق يملأ سطح كفي.

إبراهيم طالع الألمعي

(السعودية). شاعر، نشر العديد من القصص في الصحف والمجلات.

طيور الوادي المتصدع

كانت الأصوات تجلجل بـ «الزملة» في جنبات الوادي الذي يتواغل مع الزمن.

يوم من أيام (المعونة) من شباب القبيلة العاتية لشيخهم (شعوان) بمناسبة بنائه منزلاً ثالثاً لزوجته الثالثة.. بعدها جاء وقت العدل والأدوار بين الزوجات. الدور هنا ليس بالليالي بل بالأسابيع، كل زوجة لها أسبوع، وفي كل بيت سبعون رأساً منتجاً من الغنم.

أسبوع الزوجة الثالثة يبدأ اليوم.. وكعادتهن جميعاً في بداية الأسبوع تجهز له صاحبة الحظ تيسين يبيعهما في سوق الثلاثاء في المدينة عائداً بمؤونة الأسبوع لأسره الثلاث وبما يستره من ضيفه الذي لا ينقطع، فهو شيخ القبيلة ومشكلاتهم يومية.. بدأت رحلة التعب المثقلة فرحاً وأملاً، بسيارة (التويوتا) الحوض... التدقيق في تفتيش السيارات المشائمة من الجنوب أمر طبيعي مألوف... لكن (شعوان) فوجئ بعد التفتيش بأن التيسين ليسا في السيارة.. يسائل العسكري: أين تيساي؟!

لا تناقش.. صعود الغنم إلى السروات ممنوع.

لم؟.

لا وقت للحوار.. الوباء منتشر، وحصاره ضرورة.

أي وباء؟ وأي حصار؟ غنمي ثلاث مئة، وهو رزقي ورزق بيوتي؟.

هراء كثير، البحث عن واسطة.. ولا فائدة..

الصحة العامة تقتضي حصار غنمك مكانه والله المستعان.

أطل على المدينة بلا غنم.. الناس تبحث عن الغنم في السوق السوداء.. كيف يستطيعون إكرام الضيف باللحوم البيضاء؟. إنها غرائب العصر (ضيف على دجاج) وأنا أريد شراء أرزاق رمضان... والمدينة تكتظ بالأرزاق ويتسابقون على الشراء.

الحل: الشيخ سليمان، فقيه البلد، ذو الأيادي البيضاء، أعرفه من زياراته الإصلاحية المتكررة إلى القبيلة الرعوية، ومن أخباره الكثيرة في الشفاعة والهدي والطمع في حمر النعم، والاحتساب في كل فعل خير... أبوه مثلي كان شيخاً شهماً فارساً... وهو الآن في قلب المدينة ويعرف كل مشكلتي.

كان موقفاً عصيباً بين شيخ القبيلة وشيخ المدينة. المطلوب: الشفاعة لدى جمعية البر أو أحد المحسنين. شيخ المدينة - بما يحمله من خلفية أصيلة - لم يتقبل الموقف نفسياً، لكن لابد من فعل الخير... رمضان حل، وغنم الشيخ محاصرة لا طائل

من ورائها. الشيخ شعوان غني كل الغنى لكن بغنمه الذي صارت عالة عليه مع أسره الثلاث. جمعية البر اعتذرت بأن ما لديها من أرزاق أرسلت حسب آلية معينة لتوزيعها ولا مخازن لديها.

أحد المحسنين منحه كيساً من الدقيق وآخر أرزاً وسكراً وزاده زيتاً..

لم يزل مأزق الشيخ سليمان... فكرة:

زميلنا (عسران) رجل إعلام ناجح.. وإنساني لا يعرف الاعتذار... يعمل في صحيفتنا، لو صوره - كالعادة - ونشر نداء للمحسنين...

يا شيخ: شعوان، هذا رسم (كروكي)لمكان الصحيفة، وهذا هو اسم الزميل.. انطلق فبإذن الله تجد حلاً.

الباب في صحيفة الشيخ سليمان موصد، والدخول للوجهاء عن طريق المدير وليس مظهر شعوان في المدينة يدل على الوجاهة...

دعـنـي يـا ولـدي أدخـل إلـى عـسـران، قـل لـه: أرسلني...

لا دخول...

غـربت الشـمـس، ولـن أعـود بـلا مـيـرة.. انظـر يـا شعوان كثرة المؤونة.. مشـاوير في الأسواق خيرات الله ونعمه كثيرة.. إنهم غارقون في النعيم... ورائي أكثر من عـشريـن فما تـنـتظر ثـمـن الـتـيـسين... مـا الـعـمـل؟. عودة إلى الشيخ سليمان... الـشيـخ سليمان في مأزقه لم يزل... المحسنون كثر، ونـعـم الله كثيـرة، المشكلة في الواسطة مع أنه خير من يشفع...

يا شيخ شعوان: وبحث معه بدائل غير ممكنة...

منحه ما وجده من رزق بيتـه ولم يكن بأكثر من إصلاح سيارة الغنم التي عليه العودة بها خالية من الغنم ومن المؤونة.

أمـام أحد المـسـتـودعـات فـي طـرق المدينـة وقـف شعوان - قبل رحلة العودة متأملاً: لو أخذت كفايتي لـم ينـقـص مـن تلك الأرزاق شيـئـاً، والله المطلع أنـي لست من أولئك...

ضحك في نفسه على وسواسه كثيراً...

غبن العودة هذه المرة غير فرحتها طيلة العمر... في تلك العقبة كان يحاكم نفسه التي وسوست له... أوهامه كثيرة... كيف تتحمل لقاء أولئك بخفى حنين؟. كيف تقنعهم بأن عليهم الاستغناء عن غنمهم؟. وإذا الوادي تصدع فما العمل ألقى بنفسه في سيارته.

انحدرت به مهرولة حين فقد السيطرة عليها ليسكن جثة هامدة وليكون آخر مشهد يبصره في المنحدر تيسيه الصغيرين وطيور الوادي المتصدع.

تهـانـــي الغـريـبـــي

(السعودية) نشرت العديد من القـصـص فـي الـصـحـف والمجلات.

القنبلة رطبة

لا تنفك يداه تحومان حول رأسه، في محاولة للوصول إلى محتواه. تارة يحكه، وتاره يضمه بين كفيه. هذا الرأس أشبه بصندوق يضم قنبلة مزروعة، لا ينزع فتيلها إلا أن تتعلم هذا الدرس الكبير بحجم الكون.

رفع بصره إلى السماء. صفحة سوداء! صوت الصمت لا يشقه سوى صوت تفكيره الذي يعلو. فكر... يده اليمنى على رأسه، استبدلها بيده اليسرى

بانـتظار الحل. يـومض المسـتقبـل ويختفـي أسطـراً من بروق تـلح وتطلب قراءتها. القلق الفتاك سلاح الكون الذي يـدفعنا للـتطفـل على الماوراء. الماضـي يقظ، والحاضر صامت يتمنع من الإجابة عن الأسئلة!

نظر فـي صفحة الماء. لـم تـكن كدرة بـالدرجة الـكافيـة التـي يمكن أن تحجـب عـنه صورة شعـره المتطاير. حاول أن يتبين شكل عـينيه في الماء. تراءى له فمان صغيران في مكانيـهما! تذكر أن عـينيه تلتهمان كل شيء، الجمال، القبح، الأحلام.

إلى أي حد سيتغير شكله بعد؟ هل سيـكون بمقدوره التعرف على نفسه؟ وهو في أقصى تركيزه، سقطت فجأة حشرة باهتة على الماء. كأن يداً خفيـة رمت بها فـي اتجاهه. يـتلاشى الانعكاس تدريجيـاً، تـنتـشر الـدوائر، تـستـفحـل... مرة أخـرى مرر يـده بعصبيـة وعفوية على جبينه فقد تذكر مشكلته المزمنة مع الدوائر. مذ كان صغيراً، لاحظ أن العالـم يعتمد استراتـيجيـة الدوائر. الأيام تـدور... الدنيـا دوارة...

دورة الحـيـاة... الـدورة الـدمـويـة.. what goes around, comes around، تـذكـر فـيـروز وهـي تـغـنـي: «طـريـق النحل الطايـر.. فوق الضو المكسور.. بـيـصيـر يرسم دوايـر.. يـكـتـب ع الـهوا سـطـور...». الـشـمـس تـدور، ورؤوسـنـا تدور. الكون نظام من تروس ورؤوس وأيام، ساعة عظيمة تدق باتجاه الآخرة.

لطالما حاول ترويض عقـلـه - حين كانت لديـه القـوة - ألا يثير نقع الأسئلة التي سألها السابقون، وسينشغل بها اللاحقون! أمن الخطأ أن نتعلـم نفس الدروس الموروثة مرة أخرى، ولكن بطريقتنا الخاصة؟ أن نرفض المسلمات، ونعتبرها فرضيات لنسلم بها في الـنـهـايـة! عـنـيـد هذا الـرأس! تمـرده أشبـه بـحـمـاقـات الأطفال.

ابتـسم فجأة لاحظ أنه انساق خلف أفكاره مرة أخرى. تذكر شأن المثقفين. يروق لـه أن يعتبر نفسه مثقفاً. يقول إنه مهتم بالناس، يثرثر على مسامع الناس إنه يعيش من أجل الناس. لكن الناس لا تهتم

ولا تسمع ولا تعيش. لم ينتبه بسبب هذا الضجيج أنه مر بكفيه على رأسه ثلاث مرات بقوة، ثلاث مرات... أربعة تأتي بعد ثلاثة، تداخلت الأرقام. حمد الله أن عقله ليس رياضياً، وإلا تضاعفت المشكلة. حصة الرياضيات كانت ضمن قائمة طويلة بالأمور التي تصيبه بالصداع. النظريات تفوق عدد البراهين. نتكلم عن الثوابت ونغفل أن المتغيرات هي القاعدة. تذكر أنه قطع وعداً على نفسه ألا يخطو بهذا الاتجاه! بإمكانه أن يخوض في مستنقعات أقل عمقاً... المبادئ مثلاً! أمرها محسوم، فهي تربط حول عنقه أنشوطة مطاطية، تركله ليبتعد ثم يرتد بقوة؟ ليتلقى ركلة أخرى شرسة ترسله بعيداً.

الفلسفة لعبة مسلية مادام الزمن يمر. لابد أن يمر في النهاية، بشكل ما، وبطريقة ما. هناك ألعاب مسلية أخرى كالحدس، والفراسة، والتأمل. طرق متنوعة لدغدغة الغيب. هذه هي ألعاب الكبار، ألعاب خطرة.

بالرغم من محاولته الابتعاد عن المدينة، إلا أنه لايزال يسمع الضجيج المنبعث! ملايين العقول، والتروس، وحك الرؤوس. بين حرارة الشمس وحرارة الأرض، تصبح هذه العقول هامبرجر، بعضها موبوء بجنون البشر. تذكر بعض المحظوظين الذين يعرفهم جيداً. عقولهم مثل بيوت جداتنا... أثاثها قليل ومرتب. لن تفقد شيئاً في بيوت كهذه، ثم إن ترتيب الأفكار ومنطقتها محاولة بديهية لقول ما هو بديهي على نحو غير بديهي! ماذا؟ أحس بنبض رتيب في صدغه الأيسر، الرتابة... كم هي بغيضة! سجان ذو قبضة حديدية.. قد تتخللها العلامات والدلالات والرسائل المبطنة. كلها أرواح شريرة تطارد من تظهر له، تجبره على ربطها بقواعد ومفاهيم. كأن القاعدة هي مثواها الأخير. كانت فكرة سيئة حين قرر أن يستبدل رئتيه بدماغين أزرقين يقاتلان من أجل التنفس!

أغمض عينيه عله يسمع صوت شجرة أو ساقية أو عصفور، لطمته ريح سموم على وجهه. لم يفتح

عـينيـه فـتـلك الـلطـمـة كانـت مـتـوقـعة. اسـتـمـر يـتـأمـل الـظـلـمـة وهـو مـغـمـض الـعـيـنـين. حـك رأسـه... لـمـاذا يربطون النور بالحقيقة؟ الحقيقة هي الحقيقة في الظلام والنور. لم يسـتـطـع أن يفـتـح عـينـيـه، واسـتـمـر يـهـرش رأسه، وتحت قدميه كان شعره يتساقط بغزارة.

ياسـر عبد الباقـي

من مواليد 1972 (اليمن). نشر قصصه في العديد من الصحف والمجلات.

خيـــانة

تسللت إلى سريري خلسة، تلاعبت بأصابعي، ولعقتني بلسانها، وضممتها إلى صدري، وقبلتها على رأسها، ونظرنا معاً إلى الباب.. كنتُ خائفاً أن تراني زوجتي معها في هذه الوضعية، قلتُ: اذهبي قبل أن تأتي زوجتي وتشاهدك معي في فراشها.

لكنها أبت أن تذهب، وحدَّقت إليَّ بعينين سعيدتين.. وعادت لتداعب هذه المرة شعر رأسي.

فحملتها إلى أعلى قابضاً عليها بقوة.. وقلت مصطنعاً الغضب:

اسمعي يا حلوتي أعترف أني لا أحب زوجتي.. لكنها (أم عيالي) لقد كادت أن تطلب الطلاق في المرة الأولى بسببك.. فاذهبي الآن قبل..!

التفتنا معاً إلى الباب حيث كانت زوجتي واقفة محدقة إلينا بعينين ثائرتين، تراخت يدي، وفرت مذعورة من بين أرجل زوجتي.

قالت بصوتها المبحوح: ألم أقل لك إني لا أريد قططاً في منزلي..!

يــحــيــى
ســبــعــي

من موالـيد 1972 *(السعـودية).*
كتـب الروايـة. مجمـوعتـه الأولى
المخش تحت الطبع.

عندما يبكي المطر

المطر. يسقطر قطرة.. قطرتين، وفتاة تسبح فوق ندى الربيع المقبل، تختال.. خطوة، خطوة، أنا.. تسمرت في قاع الخيال.. جذبتني نحوها هناك، تجتبي نظراتي بحرقة.. دون علم؟

المطر يسقط قطرتين.. ثلاث قطرات، ويرشقني الوجع في قلبي.

غداً امتحان.. اليوم لا خالد ولا أنا فرحين.. والدتي تنشر غسيلها وتدعو.. غير عابئة بقطرات

المطر.. تنظر إلى فرحي الذي يملأ مقلتي.. ولا.. تعلم بأنه يسرق من أمامي.. من أعماق عطشي. الفتاة في شرفة الأحلام.. تمد عنقها الذهبي في ربيعنا الوردي.. عيناها تسافران، وندى الربيع على رمشيها.. أنا نهضت واقفاً ليتوارى شبحي بعيداً.. بعيداً.. بعيداً.

الغير ينحت الصخر.. يريد أمل.. يبتسم ابتسامة صفراء.. ويحدجني بنظرة رمادية.. يعلوها الغبار.. حينها هربت خلف المطر، لأغلق باب حجرتي.. ذات الفراش واللوحة.

من ثقب الإحساس.. رأيت المطر.. يسقط ثلاث قطرات.. أربع قطرات، والشتاء يمضي بعيداً مع السحاب.. نصف الشمس مات.. ونصف يرسم قوس أحلامي، والفتاة غدت كحلم ليل محاه النهار.

المطر يطحن الأرض.. ينهمر، غسل جروح الصدأ بين أناملي، وغدا امتحان.. اليوم لا فتاة ولا حلم ولكن سأقطع التاريخ، وأرحل ممتطياً جياد الريح.. لأقول لهم أنا أفضل.. أنا سأثبت لهم، وأسطر حياتي.. لتبدأ حياة حب جديدة.

توثبت أفكاري.. تطايرت.. هذا خالد يهشم زجاج البيت، غدت ساعة وأتت أخرى، نلعب سوياً بكرته الصغيرة في أحضان قطرات المطر الضئيلة التي سرعان مازالت.. وزارتنا الشمس كاملة.

توسطت الكتب.. غرقت في النجاح الآتي.. كل زادي دعوات أمي.. كلهم يزدرون تفوقي.. كلهم سراب يحاول جاهداً ليكون واقعاً.

جاء يوم الاحتضار.. هم اعتلوا الأسفل.. أما أنا فسقطت إلى الأفق.. هذه معادلتهم، وكأنها في قمة الإنصاف؟ سقوط المطر.. لا لم يسقط.. زارني طائر جريح سكبت عينه دمعة.. ثم قال: حاول مرات.. مرات.. حاولت.. سقطت أيضاً إلى الأعلى غير عابئ بهم..

رحلت وفي أعماق والدتي آلام خابية.. تصنع بها ابتسامة وقبلات على هذا عند الوداع.. في ليلة الريح.. قالت لي: ارحل.. يوماً ما ستجد عبدالعزيز في ظلمة.. يبدد سوادها البدر. ارحل وسوف تجده.. خرجت بعد الرحيل.. إلى الدنيا.. غداً سأنجب طفلاً،

أطفالاً غير عابئين بهم جميعاً.. فقط عابئين بي أنا.. بأمهم.. بوالدتي ذات الشمس المشرقة على جبيني.. على كل العالم.

سقط المطر.. لم يسقط.. ماتت الفتاة.. نجمة الليل، وحلم غداً يلهث في الصحراء.. بين الجفاف.. بين سموم القيظ.. تكدرت أنفاسي من البحث، فوجدت أصداء تغرقني بتحيات باهتة في زمن الانكسار الذي تهاوى بين أصابع النجاح والفشل.

زارني.. الطائر وهو ينزف.. قال هذه المرة: لن.. يسقط.. انتظر الموت.. انتظرت.. تعلقت عيني.. في.. شمس المغيب الحزينة.. رأيت المطر في الخلف مازال.. يبكي.. مازال يبكي.. أنا في شروخ الزمن سأثبت.. لهم.. سأكتب لهم حياة عبدالعزيز لأبدأ حياة حب جديدة.

صفقته لحظات النشوة.. وبلا دمعة ابتلع الهم.. ثم صرخ في عالم يندس خلف الليل ونادى أمه.. أنا.. هنا.. أنا.. عبدالعزيز.

نـاديـــــة
الـغـــــواز

(السعودية). صدر لها الركض في مساحات الحزن (1999). نشرت العديد من القصص في الصحف والمجلات.

طفل وجدار

كتب على الجدار.. حروف كلمات كانت تدور في رأسه تسكن ذاكرته رسم حروفه.. وكل أحلامه.. على وجه الجدار.

وهذا المخيم يمتد، يتواصل بالأحزان.. لا يملك في يده سوى هذه الفحمة السوداء حتى طباشير المدرسة صادروها، الدخان يتصاعد من آخر المخيم هذا ليس غريباً اليوم، ولا حتى غداً، الأرض سوداء والسماء معبأة بالحزن، وكل فوهات الجراح مفتوحة،

والأحجار تملأ الطريق، والطريق مفتوح لكل أشكال الأحزان.. كتب.

لم يكن لي يوماً لعبة، لم يكن في يدي حلوى كل ما حلمت به حذاء أضعه في قدمي بعد أن ألهبها حر الطريق.

تأمل طويلاً في الجدار وراح يحلم.. يحلم.. طائرة تحلق فوق رأسه على بعد غير بعيد إنها لا تشبه طائرته الورقية التي التصقت بعامود الكهرباء والتي حزن كثيراً لأنه لم يستطع أن يصل إليها.. إنها كبيرة كأنها وحش.. مارد.

وهو مسمر أمام الجدار.. بالأمس حزن على كل الأحلام الضائعة وعلى هذا العمر الميت، وعلى كل الورود الذابلة، بالأمس خرج كل الأطفال يلعبون ويقذفون الحجارة وبقي وحيداً.. ينظر إليهم ببلاهة.

يدعونه تعال إلى هنا هيا هنا حجارة؟ يصمت.. يصمت ويمضي.. ويتذكر أن أمه حذرته من قذف الحجارة، على كل الوجوه السوداء.. قالت له.. أنت

رجل البيت الآن.. أنت من يطعمنا رغيف الخبز، ونحن نخاف عليك.

ويمضي في الطريق.. طريق طويل.. ورائحة المخيم، رائحة موت، رائحة حزن، يمضي ويمضي.. ويعود ليقف أمام الجدار والدخان يتصاعد من المخيم.. والحلم مازال حلماً بحذاء جديد وبقايا حلوى.

يضرب الجدار بقدمه يسمع صوت أنين الجدار.. يعود ليضرب ويسمع صوت أنينه.. يتواصل.. تتعب قدمه والصبية مازالوا يرشقون حجارة.. دخان يتطاير.. سواد يعلو يقف أمام الجدار.. كيف تحول هذا الوطن إلى خندق موت.. وكيف تحول رغيف الخبز إلى رصاصة.. كيف؟.. وكيف؟ ينظر إلى السماء.. ينظر إلى الطائرة الورقية.. ماتزال معلقة، هو الآن لا يريدها، لا يريدها، يريد فقط حذاء وبعضاً من اللعب والحلوى، لا يريد أن يخرج كل يوم ليجمع البرتقال، وروث الأغنام، لا.. لا يريد سوى أن يعيش، سوى أن ينام دون أن يستيقظ على صوت أقدام العساكر.. دون أن يستيقظ على دوي الرصاص.

لماذا أيها الجدار لا تسمعني؟ وحدك من يعرف قصتي!! لقد قلت لك دائماً إنني أريد الحياة، وإن العالم الآن أصبح كذبة.. يضرب الحائط بقدمه، أنت لا تسمعني.. لا تسمعني؟!

يسمع صوت دوي الرصاص من خلفه، كل الأولاد يركضون. ماذا هناك؟ لا أحد يجيب..!! الكل يركض!! الطريق طويل إلى المنزل، وهذا الجدار صامت.. صامت.. يقف مسمراً عند الحائط يتذكر الحذاء والحلوى واللعب.. يتذكر الأرض السوداء والطائرة الورقية ورغيف الخبز.

أصوات أقدام تقترب.. نعم هي نفس الأقدام التي يستيقظ عليها كل صباح فيجد باب منزلهم وقد تهشم.. ولا يجد والده في المنزل.. الأقدام تقترب وهو واقف يضرب الجدار بقدمه.. تكلم.. تكلم.. يبكي.

إنهم أمامه الآن.. هو لم يحمل حجراً لكي يقذفهم به فلماذا يريدونه؟ يقف لحظة صمت طويلة تنتهي بصوت رصاصة تتمركز في رأسه، في

جمجمته، يتطاير دمه.. يغسل الأرض السوداء.. والجدار الأخرس.. يضرب الجدار بقدمه..!! يسمع صوت أنين الجدار. الوجوه تحملق فيه من كل النوافذ.. ليسقط ليحتضن الأرض تركض الأقدام مرة أخرى.. ويسيل الدم.. الجرح.. الوجع.. يسيل الموت.. وتسقط الطائرة الورقية.. يحملون النعش الصغير وتزغرد أم الشهيد الصغير وتزفه إلى عرسه.

علـــــي أحـــمــــد زعلــــــة

(السعودية). نشر العديد من القـصـص فـي الـصـحـف والمجلات.

وحشـــــة

عندما وقفت سيارته أمام مركز بريد المحافـظة اجتاحته رعشة طويلة، تخيل مع هزتها أن جلده قد تحول إلى اللون الأزرق.

قبل عام أو عامين، لم يعد يدري بالتحديد متى كان ذلك اليوم الذي سجل فيه اشتراكاً لدى مدير البريد يستأجر بقيمته أحد الصناديق الحديدية التي يسمع أنها تحمل إلى الناس ما يدخل البهجة على نفوسهم، ويمدهم بفيض من إحساس التواصل مع

العـالم من حـولهم.. رسائـل أو هدايا ، مـعايدات وتـهان أو ربما بطاقات مواساة في اللحظات الداكنة.

حدث نـفسه ساعتـها وهو يتـأبط ورقة الاشـتراك ممهورة بتوقـيع مدير البـريد أنه سوف يصـل العالـم من أطرافـه، سيـستعـيد ذكريات قديمه مع أصدقاء قدامى زملاء الدراسة.. أولئك الذين التقى بهم في مناسبات عارضـة.. أحس أنه بـرقمه البـريدي هذا سيـصبح رقـماً مميزاً في مدارات الحياة.

بعد أسبوع واحد فقط من تـسجيل اشتـراكه عاد يتأبط عدداً وافـراً من الرسائل إلى عناوين مـتفرقة في المدن والدول، دفـع لإرسـالـها مبلغـاً غـيـر قـلـيـل، كـان عنده هيناً لقـاء ما يؤمل مـن وراء تلك الرسائل! مرت الأيـام والشـهـور وهو يـنـتظـر ردوداً عـلـى رسائـلـه التـي بـعثـها، أدركـه الحزن وكـميـة غـيـر قـليـلة مـن اليـأس.. خفـف مـن حدة حزنـه احـتـمال تـعـثر الرسـائـل، أو عـدم سلامة الـعناويـن أو غـيـر ذلك.. رغـم أنـه كان مـتـأكداً تماماً مـن صحة العناويـن ومن إجراءات البريـد ومـن كل

شيء.. كل شيء.. شيء واحد فقط هو الذي لم يكن متأكداً منه!!

قرر تكرار المحاولة، ولكنها كانت محاولة مختصرة هذه المرة، فقد اقتصر على بعض الأصدقاء الذين يعدهم قريبين إلى نفسه ووجدانه وقريبين أيضاً من الرد عليه ! ثمة شيء زاد حماسته لإعادة المحاولة هو ذلك العنوان الذي نشره كاتبه الصحفي المفضل أسفل مقالته بالأمس، إنه يعشق كتاباته ويحرص على متابعته ويحتفظ بقصاصات كثيرة مما ينشر له في الصحف والمجلات، إنه دائماً يأتي بوجهة نظر جديدة في الأدب أو السياسة أو الأسهم والرياضة!! لذلك سيبدأ بالكتابة إليه وتسطير عبارات الإعجاب وبالطبع فلن ينسى أن يشير إلى إعجابه بالصورة التي تعتلي زاويته اليومية.. بعقاله المائل وسيجارة نصف متقدة انغرست بين شفتيه.. بنظرته الساهمة إلى اللاشيء..!

بعد تلك المجموعة الثانية التي بعث بها أخذ

يستغل جميع المناسبات والأعياد ليراسل أصدقاءه ويزجي إليهم تهانيه وأمنياته الطيبة بكل ما هو جميل ومبهج، وما نسي أبداً أن يذيل خطاباته بعنوانه البريدي المفصل.

مرت تلك التفاصيل كلها بخياله وهو واقف أمام غرفة كتب أعلاها (صناديق المشتركين)، لقد اعتاد على مرأى هذه اللوحة، على منظر الباب المدهون باللون الأصفر الباهت، تذكر لون الباب الذي كان براقاً عندما دخل الغرفة لأول مرة، لم يعد يعير اهتمامه للباب أو اللوحة بل لم يعد ينظر حتى إلى رقم صندوقه، لقد حفظ موقعه تحديداً بين الصناديق، لم يكن يتخلف عن زيارة هذه الغرفة يوماً من الأيام.. حتى في أثناء مرضه كان يبعث أحد أقاربه ليتأكد إن كان صندوقه قد خرج عن سكونه المميت، وفي كل تلك الأحوال لم يكن ليجد في أحشاء صندوقه سوى الفراغ وذرات الغبار. شعور غريب ذلك الذي تلبسه حين دخوله الغرفة! ربما لأنه قد انقطع عن المرور على الصندوق فترة من الزمن طويلة.. فقد قرر أن يتوقف

عن المرور اليـومي على البريد، لأنـه من غيـر المحتمل أن تهطل الرسائل بين يوم وليلة، ثم إنه قد تعب من تلقي صفعات الصندوق اليومية، ألهذا الانقطاع تراه يشعر بهذه المشاعر المختلفة؟! ربما. دخل الغرفة فرأى منظراً تمنى لو كان جزءاً من مفرداته، في ركن قصي من غرفة الصناديق تحلق عمال من شرق آسيا بملابسهم المتربة، وسمرتهم الداكنة، وعيونهم المتلهفة إلى ما بين يدي أحدهم من رسائل أخذ يوزعها عليهم وهم يتسابقون في فضها وجريان عيونهم بالدمع على سطورها.

بعث ذلك المشهد في روحه أملاً مريضاً.. تقدم باتجاه الصندوق، كان من عادته ألا يكلف نفسه عناء فتح الصندوق، بل كان لعمق يأسه يكتفي بالنظر من ثقب أسفل الصندوق، وبالفعل فقد أطل من ذلك الثقب وكالعادة وجد صندوقه خاوياً على غباره.. أطال النظر في الصندوق ومشاعر كثيرة تعترك في روحه، هم برفع رأسه والانصراف لولا أن الصندوق قد تلقى من الناحية الأخرى رسالة ألقاها أحد الموظفين

في تلك اللحظة، دقق النظر أكثر.. نعم لقد كانت رسالة، آه هذا ما يصبو إليه، لقد تحقق أخيراً أمله، عاودته الثقة في اخضرار الدنيا ، لام نفسه كثيراً على سوء الظن الذي اقترفه حيال أصدقائه، هذا هو أحدهم يكتب إليه رسالة، رفع رأسه وبحث عن المفتاح في المحفظة فلم يجده.. تذكر أنه قد وضعه في السيارة منذ فترة! ركض باتجاه السيارة، مازال محركها يشتغل! عاد مسرعاً إلى الصندوق، كان يتساءل من هو ذلك الصديق الذي لم تشغله الدنيا أو تبدله الأيام؟! غرس مفتاحه وفتح الصندوق، أخرج الرسالة وبسهولة فتح المظروف، فض الرسالة وقرأ:

عزيزي المشترك..

تود إدارة البريد أن تشعرك بانتهاء اشتراكك..
هل ترغب في التجديد،،؟!

سلوى أبو مدين

(السعودية). نشرت العديد من القصص في الصحف والمجلات.

تحطيم الآمال

تزيح الغطاء عن جسدها بتثاقل، وتنهض وهي محملة بالهموم والآلام، فتوخزها أوجاع في الساقين.

تتنهد.. تضغط بكفيها على الركبتين، تضيء المصباح.. تدخل حجرة بناتها وتتأكد من تدثرهن بالغطاء، ثم تدخل الغرفة الثانية، وتتأكد من أن ابنها جهاد.! يجلله الغطاء،. يشعر بها، وتقول صباح الخير يا بني.. «أمي سمعتك طول الليل تتألمين». استدارت نحوه.. ونظرت إليه بحنان، وقالت: لا

يوجد غيره.. الروماتيزم قاتله الله.! لا عـليك يا بـني أنت فـي الأيام الأخيرة مـن الثانـوية العـامة، انتبـه إلى مذاكـرتك واهتم بـنفسـك! قبلـته على جبينـه.. وارتدت مـلابسـهـا، أحكـمت إغـلاق البـاب.. وغـادرت مـبكـرة تنـفـخ في يـدهـا مـن بـرودة الجـو وشـدتـه، وهـي تمـشـي وتـتـألـم.. خرجت وآذان الـفجر يتـردد فـي كل مـسجد، منتظـرة حافـلة تنقـلهـا إلى منزل سيدتـهـا التـي يـبعـد الكثير عن منزلها.!

في الـسـادسـة وصلـت.. أعـدت الإفـطـار لـلأسـرة واشتـرت الخضـار مـن الـسـوق، ثم عـادت وبدأت تـطـبـخ الـغـداء، نـظـفـت المـنـزل كـلـه.. وغـسـلـت مـا وجـدت مـن مـلابس مـتـسـخـة.. فـي الـواحـدة والـنـصـف ظهـراً أخذت أجرهـا ومـا تـبـقـى مـن طعـام الـيـوم.. وعـادت مـسـرعـة سعـيـدة. نـسـيـت الآلام وأوجـاع الـرومـاتـيـزم وهـي تـفـكـر في أولادها..!

ومـا إن وصـلـت لمـنزلـهـا حـتـى سـلـمـتـهـا إحدى الجارات ظرفـاً أصفر. إنـهـا رسـالة لك يا سيـدة عزيزة.. هي باسمك.!

أمسكت بالظرف وأسرعت.. نحو غرفتها وأغلقت الباب خلفها مستعرضة الماضي، فقد تحملت المسؤولية وهي صغيرة بعد وفاة والديها.. وعكفت على تربية أخواتها إلى أن تزوجن، حتى أخوها عبدالرحمن ربته حتى أصبح مدرساً كبيراً.. فهجر البلاد.. حيث يعمل الآن في بلد عربي..

كانت تنتظر وصول أحد أبنائها.. وعندما لمحت ابنها نادته بلهفة وأعطته المظروف، فأخذ يقرؤه عليها.. وقلبها أشبه بمعول يدق في أرض جرداء، يطلب منها أن يراها وأبناءها، لم تصدق ما تسمعه.! وأخيراً تذكرتني يا عبدالرحمن هل هذا معقول؟ ولماذا الآن؟

عندما عادت بناتها من مدارسهن.. قدمت الخطاب إليهن وهي تضحك.. صدقتم أن خالكم طيب ولا يستطيع أن يبتعد عني، وأنه يسأل عنكن دائماً.!

قالت الأم: استعدوا للسفر يوم الخميس..

كانت تدخر بعض النقود لتكاليف السفر..

وبعض الهدايا لأخيها. استقلت القطار هي وبناتها الأربع، وتركت ابنها مع إخوانه في المنزل.. فكرت ماذا تهدي إلى أخيها؟ طعاماً.. أم زجاجة عطر.؟ لم تفكر طويلاً، ملأت سلتين كبيرتين.. بأصناف مختلفة من الفواكه والبسكويت. كانت تنظر من نافذة القطار وهو يمر بين الحقول وتشعر بفرحة تغمرها، وأن جراحاً كبيرة قد تندمل وتزول..!

لقد بذلت في سبيله كل جهد وتعب.. وبعد أن حصل على الشهادة ذهب وتركها وحيدة..!

وصلت إلى المدينة التي يعيش فيها أخوها.. كان يسكن في عمارة شاهقة الارتفاع أخذت المصعد وصحبها حارس العمارة إلى الدور السابع.. قلبها يهبط ويعلو... وما إن وصلت الدور السابع حتى قرعت الباب.. فتحت الباب سيدة. وما إن رأتها هي وبناتها حتى دعتهن إلى الجلوس. تركت الهدايا التي أحضرتها عند الباب.. لم يكن استقبال السيدة على ما يرام..!

كانت السيدة التي استقبلتهم زوج الأخ لم تبد أي ترحيب بهن. لحظات ودخل.. عبدالرحمن أخوها، وقلبها يضرب وأنفاسها تتقطع، تريد أن تأخذه في أحضانها، ولكنها تراجعت لفترة ما! مدت يدها وصافحته وبناتها بدأن بالسلام على خالهن وهن مندهشات من فخامة المنزل والأثاث المتميز. كل واحدة انطلقت إلى جانب وأبدين إعجابهن لما رأينه..!

ابتسم متجاهلاً وهو ينظر إليها.. كيف كنت تعيشين أنت وبناتك.؟ قالها بفتور شديد.. وكأنه يدفع ثمن شيء قديم..!

كانت الأخت تمطر أخاها أسئلة حتى أصابها العطش. قالت بخجل شديد: يا أخي هل لي بكأس ماء.. تنحنح بصوته وأجاب طبعاً طبعاً كدت أنسى..!

وصلت زوجته وهي تحمل كأساً من المرطبات وكأساً من الماء البارد.. وضعت فوق سفرة خشبية.. قال عبدالرحمن: تفضلوا.. المسكينة زوجتي منذ

الصباح وهي مشغولة في إعداد الغداء، لا يوجد أحد يساعدها.!

أخبريني يا أختي عن أحوالك وكيف تعيشين.. وكيف تسير أمورك؟ كم هائل نزل عليها.. في إمطار أسئلة كثيرة..!

استطرد عبدالرحمن.. زوجتي، تدعوكم، تفضلوا الغداء جاهز، ولكن أريدك يا أختي في موضوع هام.. جداً! لم تصدق الخبر..!

تحرك صدى قديم وصور تدور في مخيلتها، لا تفارق خيالها.. ربما يريد أن يرد ديناً قديماً جداً لي.! وسرحت بخيالها في فخامة المنزل وأثاثه الغالي، وقطع حبل أفكارها. ها! ماذا قلت يا أختي.. هل توافقينني الرأي..؟

أجابته: تريد أن تغترب من جديد.. لم تصدق عيناي.. أنك عدت يا أخي منذ توفي والدنا أنهيت دراستك الجامعية.. ليتك تبقى بقربي، أنا لا أريد منك شيئاً.. أريد أن أطمئن عليك وعن أخبارك فقط..!

أجاب مسرعاً: لا.. لا أستطيع! فرصة العمل في الخارج نادرة جداً علاوة على راتب كبير، إلى جانب عربة خاصة لي.. وغيرها من التسهيلات التي لم أحظ بها هنا.! ما أريد قوله لك.. هو أنني أريد مساعدتك.. اتسعت حدقة عينيها.. وهي تشهق مساعدتي كيف..؟ علت محياها ابتسامة واسعة وأجابت بسعادة.. لا أعرف كيف أشكرك؟.. أريد ابنتك أمل.. أن تدير منزلي، يقال عنها في الخارج «هاوس كيبر» وسوف أعطيها الأجر الذي يرضيك.

علت وجهها الدهشة، لم تصدق ما سمعته واضطربت أنفاسها.. ودارت في مخيلتها صور قديمة.. وهو يصرخ وتحمله على ذراعها، وهي تقوم بغسل جسده وتطعمه، بعدما ترك لها أبواها الحمل الثقيل..!

اغرورقت عيناها بالدمع.. وكأنه يريد رد دين.. فيما تحملته من أجله.!

.. سوف تكون سعيدة.. وأعطيها غرفة خاصة..

و.. و.. و.. وسرد طويل من الأماني والآمال، وهي لا تتذكر سوى صور قديمة.. راحت تتراقص أمامها مكسورة..

عبد العـــزيز
عبد الغنـــي
عســـــيري

من مواليد (السعودية) نشر العـديـد مـن الـقـصـص فـي الصحف والمجلات.

قصص قصيرة جداً

(1) النجاح

أخذت تركض في أرجاء الدار. أخيراً نجحت. لم تفكر في التقدير؛ إن همها اجتياز عقبة فشلت في تخطيها ثلاث مرات. ولما شعرت بالتعب دخلت غرفتها ونامت.

أقلق الجميع تأخرها أسرعت أمها وإحدى أخواتها فتحتا الباب استقبلتهم رائحة عبقة وابتسامة صغيرة. هزتها أختها. كانت متصلبة وباردة.

لقد أسلمت الروح منذ ساعات.

(2) المدرج

بسبب الفراغ شعر بالإختناق فأخذ طفله وتوجه بسيارته إلى المدينة الرياضية، الأضواء تملأ المكان وصوت الرعد ومذيع يعلن نتائج المتسابقين.

جلس في آخر المدرج الجنوبي يراقب الناس والألعاب. الطفل أخذ يتنقل بين المقاعد والحاجز الذي يعزل الملعب.

وفي الثامنة شعر الطفل بالتعب فصعد المدرج وجلس. في العاشرة والنصف لاحظ أحد رجال الأمن الطفل ووالده صعد إليهما كان الطفل يتلفت حوله والرجل جثة هامدة.

(3) شجرة العرعر

يتكئ على عصا مصنوعة من شجرة العرعر.

شجرة العرعر العتيقة الرابضة بالقرب من المنزل. المنزل المحبوس داخل فناء مبنى من الطين المجلوب من المزرعة. المزرعة الواقعة بالقرية النائية عن العاصمة. العاصمة المحتضنة بالصحراء الممتدة حتى الجبال المعانقة للسحاب. السحاب المهاجر من شاطئ البحر. البحر الرازح تحت وطأة المراكب. المراكب المصنوعة من شجرة العرعر. شجرة العرعر التي زرعها إنسان.. إنسان قتله إنسان يتكئ على عصا مصنوعة من شجرة العرعر.

وفـــــاء العـمــيــر

(الـسـعـوديـة). نـشـرت العديد من القصص في الصحف والمجلات.

السائق الجديد

الصباح يسترخي خلف نافذة غرفتي.. يؤرجح شمساً باهتة الإشعاع على وشك أن تستحيل إلى سحابة بمعطف مطري خفيف، لكنني كنت أعبئ في قلبي كآبة صباح خارج للتو إلى المدرسة!!.. كان العصفور يغرد بصوت كالضياء.. منغماً بزخات مطر باردة، تهطل ندية فوق جناحيه الموردين بالشجر.. يأتيني صوت تغريده حاملاً إلي عطراً ملوناً بيوم جديد.. يوم يخرج من باب الزمن بحلته الجديدة

ومفاجأته غير المعلنة.. وبدقائقه التي تحتفظ بثقل مرورها فوق جسد يومنا أو سرعته..

كانت السيارة تنتظر في الخارج.. والسائق يختفي خلف المقود وقد أحاطته سحابة نوم خفيفة.. سرعان ما فرّت هاربة عندما أغلقت خلفي باب السيارة.. كنت قد تعمدت أن أغلقه بعنف.. ليفيق من غفوته.

سائق جديد.. بسيارة جديدة.. ويوم مكهرب بقيادته المخيفة!!.. كان ينظر إلى الشارع أمامه كما لو كان ينظر إلى عالم جديد.. يُدلق إليه لأول مرة.. ينسكب في حواريه فيتناثر في كل الأرجاء، لمعة الخوف في عينيه تغيظني.. تجعلني أدرك أن علي أن أكون متيقظة لمفاجآت الطريق.. وبحركة لا شعورية وجدتني أحيط نفسي بحزام الأمان المخصص للمقعد الخلفي.. واجهت صعوبة في إغلاقه خاصة وأن طرف العباءة كان يشبك مع حلقة الحزام.. استندت إلى المقعد.. يجب أن أكون دقيقة في وصفي.. تصلبت

علـى المقعـد!.. هذا أول يـوم أخـرج فيـه مع السـائق لإيصالي إلى المدرسة.. كانت الإشارة في طريقها إلى أن تتلون بالأصفر.. راحت السيارة تهتز بين يديه.. تتردد بين أن تقف أو تواصل سيرها.

- ماذا حصل؟ لماذا السيارة تهتز؟!!

يلتفت إلي بغباء، تذكرت أنه لا يجيد التحدث بالعربية.. جربت الإشارة.. أخذت ألوّح بيديّ المذعورتين.. رأسه يلتفت ناحيتي.. والسيارة تريد أن تسابق الإشارة التي تلونت الآن بالأحمر، قلت بفزع: «انظر أمامك.. قف.. ارجع إلى الخلف».

صارت الإشارة خلفنا.. ونحن نقف بكل بلاهة أمامها.. عاد بها إلى الوراء قليلاً.. صرنا على حافتها.. هذا أفضل.. شعرت بقلبي كعصفور مذعور بقفصه الحديدي المغلق عليه والذي يتأرجح بعنف وسط عاصفة مرعبة!!

أخذت أترقب الضوء الأخضر وكأنني أنا التي تجلس خلف مقود السيارة! عندما غمزت لنا الإشارة

بأخضرها، شعرت بها وكأنها ترمي بي في معمعة الطريق بلا رحمة! امتدت يد السائق إلى جهاز التسجيل «يا لهذا البرود؟ يا لثقته الكبيرة بنفسه؟!» بينما كنت أحترق في داخلي غيظاً، وأتجرع الندم ألواناً لخروجي معه دون أن أتأكد تماماً من إجادته للقيادة ومعرفته للطريق.

الطريق!.. وكالمجنونة أخذت أتلفت حولي.. وبصوت جُرّ على زجاج مكسر قلت: «أين نحن؟ هذا ليس طريق المدرسة.. لماذا لم تدخل الشارع الفرعي إلى اليمين؟!!» صار يكثر من التفاته نحوي دون أن يبدو عليه أنه يفهم كلمة مما أقول، رحت أزعق بأعلى صوتي «يا غبي! هذا ليس طريق المدرسة، أدخلتنا إلى الطريق السريع، ما الذي سيعيدنا ثانية؟! سوف نحتاج إلى عشر دقائق أو ربع ساعة لنصل إلى المخرج!!» هل أبكي؟.. لحظتها كانت كل الدموع لن تكفي لتخلصني من إحساسي بالقهر والغيظ، كل المشاعر تهافتت علي كشلال يهدر غضباً.. كنت أود لو أشعل فيه حريقاً هائلاً وهو في مكانه خلف

المقود.. لو أضربه ضرباً مبرحاً حتى يستحيل عليه تحريك رقبته نحو أي شيء مرة ثانية.. وأخذت أفكر بالمديرة.. وتراءت أمامي ملامح وجهها الجامدة.. واللون الأحمر كالدم يسيل تحت اسمي!!.. نفثت الهواء مخنوقاً خلف غطاء وجهي الشاحب الذي استحال إلى ورقة شجرة يابسة! وأشد ما أذهلني ردة فعله الباردة تجاه المأزق الذي أوقعني فيه فمازالت أصابع يده الغليظة تحرك المؤشر في وجهة المذياع يميناً ويساراً بحثاً عن صوت أجنبي، يتكلم بلغة يفهمها.. بينما لغتي تتشتت في دائرة فزعها وتتناثر حول رأسه الفارغ!!

- ها هو المخرج.. ادخل معه.

لم يفهم.. صرخت فيه.. وأخذت أضرب في مسند المقعد الذي يرتكز عليه كغبي واثق من نفسه..

- بسرعة.. هنا.. أدر المقود.

ولولا حزام الأمان الذي حبسني خلفه لنهضت من مكاني وأدرت المقود ناحية اليمين حيث المخرج،

الذي كان بحق مخرجاً لورطتي الكبيرة، ولو لم يدخل معه لكنّا الآن نتجول على غير هدى في ضواحي الرياض كلها قبل أن أصل إلى مدرستي!!

تذكرت الدراسة التي أثبتت نتائجها أن معظم حوادث السيارات سببها المرأة التي تقود السيارة من المقعد الخلفي، وكنت وقتها قد تساءلت بدهشة: لماذا يسمح لها السائق الأجنبي بذلك؟!

الآن فقط عرفت السبب: «لأنه غبي لا يفقه شيئاً! ».

أمام بوابة المدرسة وقفت السيارة. تخلصت من حزام الأمان وكنت أرتجف من مغامرة هذا الصباح المريعة.. طالعني وجه المديرة خلف المكتب البني الصقيل.. وأمامها يسترخي دفتر الحضور الكبير بهيبته وشموخه المتعالي.. رأيت عينيها تتسلقان الساعة الجدارية.. كان الوقت يركض ضاحكاً مني إلى الثامنة إلا ربعاً!!

طبعاً لن أحلم بالتوقيع في دفتر حضور

المثاليات من المعلمات المحتفظات بأوقاتهن المرتبة.. وضعت تحت عيني دفتراً صغيراً خاصاً باللواتي يحضرن متأخرات! بخجل وحنق بالغين كتبت اسمي في أعلى صفحته الخالية!

على الكرسي.. خلف مكتبي.. أرحت جسدي المنهك.. وراحت ذاكرتي تستعرض في كثير من الدهشة أحداث هذا الصباح المشاغب.. وقد غمرني إحساس بالذهول، كيف كنت أصرخ بالسائق عالياً.. وألوّح بيديّ ناحية اليمين وناحية الشمال كمجنونة.. وكيف كنت أضرب المقعد بغيظ حتى اتسعت عيناه بالفزع مخافة أن تأتي إحدى الضربات على رأسه!!

أنا التي اتسمت شخصيتي بالهدوء والاتزان، كيف خرجت من داخلي امرأة أخرى لا أعرفها.. من أنا بالضبط؟!!

نسيم الصرحي

(اليمن) نشر في العديد من الصحف والمجلات. مجموعته الأولى تحت الطبع.

نهاية ثـأر

اليوم أزف كما لم أزف من قبل.. اليوم تضاء لي الأنوار في أنحاء القرية وتزغرد النسوة كما لم يزغردن في أي عُرس.. اليوم يقبل أبي رأسي وتنحني أمي لي.. اليوم بالذات يخرج المهنئون من كل بيت لتهنئتي ومباركتي. وتظل الديار عامرة بالأفراح ليل نهار..

اليوم فقط تقام لي الولائم الفاخرة في كل منزل في القرية.

اليوم يقبل رأسي الكبار قبل الصغار ويمجد اسم أبي عالياً.. إنه يوم عرس لعائلتي بأكملها.. يوم فرح.. لا تذهبوا بأفكاركم بعيداً.. ليست هذه الضجة من أجل عُرسي.. كنت أحبذ لو أن عُرسي كان جميلاً كهذا اليوم..

بالأمس حملت بندقيتي وخرجت متسللاً في الظلام قاصداً داره..

وبدون مقدمات..

أطلقت النار. واحدة.. اثنتين.. رصاصة أخرى ورابعة.. سقط الرجل وتضرج بدمائه أمامي. حملت بندقيتي الثائرة نحو دياري.. قريتي..

حينما عدت.. كانت الدماء لاتزال تغطي ملامح ثيابي.. تعمدت فعل ذلك.. كان ثأراً أرقني لسنوات وجلب لي العار بين أفراد القرية..

وأثقل كاهلي..

«أغرب عن وجهي ولن أرضى عنك ما حييت»

كلمات أبي.. وأحياناً أمي.. لطالما هدداني حينما أنكر عليهما أمر الأخذ بالثأر.. ولطالما وقعت معهما في مشاكل كثيرة من أجل الثأر. تمنيت لو أنني لم أعد إلى القرية بعد إكمال دراستي الجامعية.. اليوم فقط.. انفرجت أساريرهم جميعاً.. وغنوا.. ورقصوا ورفعوا الأعلام.. صرت بطلاً دونما أن أدرس حرفاً عن الثأر..!! بطلاً في ليلة وضحاها..

هل ما فعلته صحيح..؟! لا أدري..؟! جمود اجتاح تفكيري ودهشة أربكت عقلي وما عدت قادراً على التحدث لأحد..

دخلت بعدها غرفتي وفتحت نافذتها ويدي اليمنى تمسك بالبندقية الثائرة.. راقبتهم جميعاً..

يهللون.. يحتفلون.. يغنون ويرقصون وأنا هنا.. أرقبهم بهدوء.. هم لا يعلمون.. هم لا يدركون.. في الغد.. أو بعد غد.. أو بعد عام.. أو عامين.. رصاصة سترديني.. وسأسبح بعدها في دمائي غرقاً مثله.. بعد شهر أو شهرين.. سأفارق

الحياة.. وسيعم الحزن مكان الفرح.. وستنكّس الأعلام وستبكي النسوة.. ويلبسن السواد.. وستلطم أمي خديها.. وسيبحث أبي عن أخي الآخر ليثأر له..!

ويأتي أخي..

ويردي من قتلني.. ويرديه آخر..

أقفلت النافذة وأسدلت ستارتها بهدوء.. لا يوجد حل آخر، حتى ينتهي هذا الثأر. رفعت بندقيتي.. وجهتها نحو رأسي..

الطبول في الخارج يزداد صوتها علواً..

الضجيج يعلو ويعلو إنهم يحتفلون بصدق!

أغمضت عيني.. ضغطت بإصبعي على الزناد!